

McGill University Libraries



3 102 487 393 6

لماذا تأخر المسلمون
ولماذا تقدم غيرهم؟

من قلم امير البيان

الامير شكيب ارسلان

وهو جديبا اقتراح كتب لمجلة النار خاصة
(وحقوقي الطبع محفوظا لادارتها)

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٩

طبعة المينكار بمصر

ISLAMIC

DS36.8

A77

1930

~~MBest.A7832L~~

INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES

5565 *
McGILL
UNIVERSITY



MBesi
A7832 e

لماذا تأخر المسلمون

ولماذا تقدم غيرهم؟

من قلم امير البيان

الامير شكيب ارسلان

Shakib Arslan

وهو جواب اقتراح كتب لمجلة المنار خاصة

(وحقوق الطبع محفوظة لادارتها)

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٩

مَطْبَعَةُ الْمِنْكَارِ بِمِصْرَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (سورة الرعد ١٣: ١٢)
ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمته أنعمها على قوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم (سورة الانفال ٨: ٥٤)

إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد (سورة المؤمن ٤٠: ٥١) انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
أولئك هم الصادقون (سورة الحجرات ٤٩: ١٥)

كتب إلي تلميذي المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران امام مهر اجا
جزيرة سمبس برنيو (جاوه) كتابا يقترح فيه على اخينا المجاهد أمير البيان
أن يكتب للمناز مقالا بقلمه السيل في أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر
وأسباب قوة الافرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة .
وقال في كتاب آخر انه قرأ ما كتبناه في المناز وتفسيره من بيان الاسباب
في الامرين وما كتبه الاستاذ الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية).

مع العلم والمدنية) في الموضوع ، وانما غرضه أن يكتب في ذلك أمير
البيان بقلمه المؤثر المعبر عن معارفه الواسعة ، وآرائه الناضجة ، لتجديد
التأثير في أنفس المسامير بما يناسب حالهم الآن ، لتنبه غافلهم ، وتعليم
جاهلهم ، وكبت خاملهم ، وتنشيط عاملهم . وبني الاقتراح على الاسئلة
الآتية التي صارت مثار شبهة على الدين عند غير علمائه ، فهو يعلم مما سمعه من
دروسنا في مدرسة الدعوة والارشاد ومما كتبناه مراراً في المنار والتفسير
أن كتاب الله تعالى حجة على أدياء الاسلام والايمان ، وليسوا هم حجة عليه
افترصت هذا الاقتراح لحمل أخي وولي الامير شكيب على كتابة
شيء مثل هذا المنار ، وأنا الذي أنصح له دائماً بتخفيف أحمال الكتابة
عن عاتقه لكثرة ما يكتب لصحف الشرق والغرب وللاصدقاء وغيرهم ،
فارسلت اليه كتاب الشيخ محمد بسيوني عقب وصوله إلي ، فارجأ الجواب
عنه لكثرة الشواغل إلي أن عاد من رحلته الاخيرة إلى أسبانية وقد
أثرت في نفسه مشاهد حضارة قومنا العرب في الاندلس والمغرب الاقصى ،
وشاهد تأثير محاولة فراسة تنصير شعب البربر في المغرب تمهداً لتنصير
عرب افريقية المرزوين باستعبادها لهم ، كما فعلت أسبانية في سلفهم في
الاندلس - فكتب الجواب متفعلاً بهذه المؤثرات ، فكان آية من
آيات بلاغته ، وحجة من حجج حكيمته ، لعلها أنفع ما تفجر من ينبوع
غيرته ، وانبيجس من معين خبرته ، فسأل من أنبوب براعته ، جزاه الله
خير ما جزى المجاهدين الصادقين

محمد رشيد رضا

كتاب الشيخ محمد بيونى عمراه

حضرة مولاي الاستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا
صاحب المنار نفعني الله والمسلمين بوجوده العزيز آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فان من قرأ ما كتبه في
المنار وفي الجرائد العربية العلامة السياسي الكبير أمير البيان ، الامير
شكيب أرسلان ، من مقالاته الرنانة المختلفة المواضيع ، عرف انه من
أكبر كتاب المسلمين المدافعين عن الاسلام ، وانه أقوى ضلع للمنار
وصاحبه في خدمة الاسلام والمسلمين ، واني أرجو من الله تعالى أن
يطيل بقاءهما الشريف في خير وعافية - كما أرجو من مولاي الاستاذ
صاحب المنار أن يطلب من هذا الامير الكاتب الكبير أن يتفضل علي
بالجواب عن أسئلتى الآتية وهي :

(١) ما أسباب ما صار اليه المسلمون (ولا سيما نحن مسلمو جاوة
وملايو) من الضعف والانحطاط في الامور الدنيوية والدينية معا ،
وصرنا أذلاء لاحول لنا ولا قوة ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز
(والله العزة ولسوله وللمؤمنين) فأين عزة المؤمنين الآن ؟ وهل يصح

لمؤمن ان يدعي أنه عزيز وإن كان ذليلاً مهاناً ليس عنده شيء من أسباب العزة إلا لأن الله تعالى قال (والله العزة لرسوله وللمؤمنين)
(٢) ما الأسباب التي ارتقت بها الاوربيون والامريكيانيون واليابانيون ارتقاء هائلاً ؟ وهل يمكن أن يصير المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء اذا اتبعوهم في أسبابه مع المحافظة على دينهم (الاسلام) أم لا ؟
هذا والمرجو من فضل الامير أن يبسط الجواب في المنار عن هذه الاستئلة وله وللستاذ صاحب المنار من الله الاجر الجزيل .

محمد بسيوني عمارة

سنبس بورنيو الغربية في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨
هذا نص كتاب السائل ويتلوه جواب الامير ، وقد وضعنا له بعض المناوين ، لانها كمحطات الطريق للسالكين ، وقد لقمنا عليه قليلاً من الحواشي المفيدة للقارئ ، كما فعلنا ذلك في كتاب الاسلام والنصرانية لشيخنا الاستاذ الامام (رح)

جواب الامير تكيب أرسلان

ان الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام لهم في
المشارك والمغرب لم ينحصر في جاوة وملايو ، ولا في مكان آخر ،
واما هو متفاوت في دركاته ، فمنه ما هو شديد العمق ، ومنه ما هو
قريب الغور ، ومنه ما هو عظيم الخطر ، ومنه ما هو أقل خطراً

وبالاجمال حالة المسلمين الحاضرة ولا سيما في القرن الرابع عشر
للهجرة أو العشرين للمسيح ، لا ترضي أشد الناس تحمساً بالاسلام
وفرحاً بحزبه ، فضلاً عن غير الأحمسي من أهله

ان حالتهم الحاضرة لا ترضي لا من جهة الدين ولا من جهة
الدنيا ، ولا من جهة المادة ولا من المعنى . وإنك لتجد المسلمين في
البلاد التي يساكنهم فيها غير متأخرين عن هؤلاء الاغيار لا يسامتهم
في شيء إلا ماندر ، ولم أعلم من المسلمين من ساكنهم أمم أخرى في هذا
العصر ولم يكونوا متأخرين عنهم إلا بعض أقوام منهم ، وذلك كمسلمي
بوسنه مثلاً فانهم ليسوا في سوي مادي ولا معنوي أدنى من سوي
النصارى الكاثوليكيين ، أو النصارى الارثوذكسيين الذين يحيطون
بهم ، بل هم أعلا مستوى من الفريقيين ، وككثير من مسلمي الروسية

الذين ليس المسيحيون الذين يجاورونهم أرقى منهم . ولقد كان المسلمون في أذربيجان قبل الحرب أرقى من الطوائف المسيحية التي تساكنهم ، ولاخلاف في أن مسلمي الصين إجمالاً على تأخرهم هم أرقى من الصينيين البوذيين ، وهذا إذا كانت النسبة بين الفريقين باقية كما كانت قبل الحرب العامة ، وفيما عدا هذه الاماكن نجد تأخر المسلمين عن مسامحة جيرانهم عاماً مع تفاوت في دركات التأخر

ويقال ان العرب في جزيرة سنغافورة هم أعظم ثروة من جميع الاجناس التي تساكنهم حتى من الانكليز أنفسهم بالنسبة إلى العدد ، ولا أعلم مبلغ هذا الخبر من الصحة ، ولكنه على فرض صحته ليس بشيء يقدم أو يؤخر في ميزانية المسلمين العامة

ولا انكار أن في العالم الاسلامي حركة شديدة ، ومخاضاً عظيماً شاملاً للامور المادية والمعنوية ، ويقظة جديدة بالاعجاب ، قد انتبه لها الاوروبيون وقدروها قدرها ، ومنهم من هو متوجس خيفة منعتها ، لا يخفى هذا الخوف من تضاعف كتاباتهم ، الا أن هذه الحركة إلى الامام لم تصل بالمسلمين حتى اليوم إلى درجة يساؤون بها أمة من الامم الاوروبية او الاميركية او اليابان

فبعد أن تقرر هذا وجب أن نبحث في الاسباب التي أوجدت هذا

المتهقر في العالم الاسلامي بعد أن كان منذ ألف سنة هو المصدر المتقدم ،
وهو السيد المرهوب المطاع بين الأمم شرقاً وغرباً ، فقبل أن نبحت في
أسباب الانحطاط يجب أن نبحت في أسباب الارتقاء فنقول :

أسباب ارتقاء المسلمين الماضي

ان أسباب الارتقاء كانت عائدة في مجملها الى الديانة الاسلامية
التي كانت ظهرت جديداً في الجزيرة العربية فدان بها قبائل العرب ،
وتحولوا بهدايتها من الفرقة الى الوحدة ، ومن الجاهلية الى المدنية ، ومن
القسوة الى الرحمة ، ومن عبادة الاصنام الى عبادة الواحد الاحد ، وتبدلوا
بأرواحهم الاولى ارواحاً جديدة ، صيرتهم الى ما صاروا اليه من عز
ومنعة ، ومجد وعرفان وثروة ، وفتحوا نصف كرة الارض في نصف
قرن ، ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم منذ أواخر خلافة عثمان
وفي خلافة علي (رض) لكانوا أكلوا فتح العالم ولم يقف في وجههم واقف
على أن تلك الفتوحات التي فتحوها في نصف قرن أو ثلثي قرن برغم
الحروب التي تسببت بها مشاققة معاوية لعلي والحروب التي وقعت بين
بني أمية وابن الزبير قد أدهشت عقول العقلاء والمؤرخين والمفكرين ،
وحيرت الفاتحين الكبار ، وأذهلت نابليون بونابرت أعظمهم ، وله
تصريح في ذلك

فالقرآن أنشأ اذاً العرب نشأة مستانفة وأخرجهم من جزيرتهم
والسيف في احدى اليدين والكتاب في الاخرى يفتحون ويسودون
ويتمكنون في الارض

ولا عبرة بما يقال في شأن العرب قبل الاسلام، وما يروى من
فتوحات لهم، وما ينوه به من أخلاق عظام في الجاهلية ، فهذه قد كانت
ولا تزال آثارها ظاهرة ، ولا شك في مدينة العرب القديمة وانها من اقدم
مدنيات العالم، ومما يرجح أن الكتابة قد بدأت عندهم، ولكن دائرة تلك
المدنية كانت محدودة مقصورة على الجزيرة وما جاورها . وقد أتى على
العرب حين من الدهر سادهم الغرباء في ارضهم، وأذلم الاجانب في عقر
دارهم، كالفرس في اليمن وعمان وفي الحيرة، وكالحبشة في اليمن، وكالروم في
اطراف الحجاز ومشارف الشام . والحقيقة انهم لم يستقلوا استقلالاً
حقيقياً الا بالاسلام، ولم تعرفهم الامم البعيدة وتخنغ لهم وتحدث بصولتهم،
ولم يقعدوا من التاريخ المقعد الذي احلهم في الصف الاول من الامم الفاتحة.

الا بمحمد ﷺ

فالسبب الذي به نهضوا وفتحوا، وسادوا وشادوا، وبلغوا
هذه المبالغ كلها من المجد والرقى يجب علينا أن نبحث عنه وننشده،
ونحفي المسئلة ونمن في النشدان : هل هو باق في العرب وهم قد تأخروا

برغم وجوده وتأخر معهم تلاميذهم الذين هم سائر المسلمين ؟ أم قد ارتفع
هذا السبب من بينهم ، ولم يبق من الايمان الا اسمه ، ومن الاسلام الا
رسمه ، ومن القرآن الا الترنم به ، دون العمل بأوامره ونواهيه ،
الى غير ذلك مما كان في صدر الملة ؟

فقد المسلمين السبب الذي ساد به سلفهم

إذا فخصنا عن ذلك وجدنا ان السبب الذي به استقام هذا الامر
قد أصبح مفقوداً بلا نزاع وان كان بقي منه شيء فيكباقي الوشم في ظاهر
اليد . فلو كان الله تعالى وعد المؤمنين بالعزة بمجرد الاسم دون الفعل
لكان يحق لنا أن نقول: أين عزة المؤمنين ؟ من قوله تعالى (والله
العزة ورسوله وللمؤمنين) ولو كان الله قد قال (وكان حقاً علينا نصر
المؤمنين) بمعنى انه ينصرهم بدون أدنى مزية فيهم سوى انهم يعلنون
كونهم مسلمين ، لكان ثمة محل للتعجب من هذا الخذلان بعد ذلك
الوعد الصريح بالنصر . ولكن النصوص التي في القرآن هي غير هذا ، والله
غير مخلف وعده ، والقرآن لم يتغير ، وانما المسلمون هم الذين تغيروا ،
والله تعالى أنذر بهذا فقال (ان الله لا يغير ما بتوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)
فلما كان المسلمون قد تغيروا ما بأنفسهم كان من العجب أن لا يغير الله
ما بهم ، وأن لا يبدلهم الذل والضعفة ، من ذلك العز وتلك الرقمة ، بل

كان ذلك منافياً للعدل الالهي . والله عز وجل هو العدل الحز .
كيف ترى في أمة ينصرها الله بدون عمل ويفيض عليها الخيرات
التي كان يفيضها على آباؤها ، وهي قد قعدت عن جميع العزائم التي قد
كان يقوم بها آباؤها ؟ وذلك يكون مخالفاً للحكمة الالهية ، والله هو
العزير الحكيم . ما قولك في عزة بدون استحقاق ، وفي غلة بدون
حرث ولا زرع ، وفي فوز بدون سعي ولا كسب ، وفي تأييد بدون
أدنى سبب يوجب التأييد ؟ لا جرم ان هذا مما يغري الناس بالكسل
ويحول بينهم وبين العمل ، بل مما يخالف النواميس التي أقام الله الكون
عليها ، ومما يستوي به الحق والباطل ، والضار والنافع ، وحاشا لله
أن يفعل ذلك . ولو أيد الله مخلوقاً بدون عمل لأيد من دون عمل
محمداً رسوله ولم يحوجه الى القتال والنزال والنضال ، واتباع سنن الكون
الطبيعية للوصول الى الغاية . وتصور أمة لله عندها مائة وهي تؤدي من
المائة خمسة فقط ، أتعد نفسها قد أدت ما عليها وتطمع في أن يكافئها الله
كما كان يكافي أجدادها الذين كانوا يؤدون المائة مائة ، وان قصروا
عن المائة أدوا بالاقل تسعين أو ثمانين ؟ كلا . هذا مخالف لما وعد الله
على رسله ومخالف للعقل والمنطق ، وليس هذا هو الشرط الذي شرطه
الله على المؤمنين ، وليس هذا هو البيع الذي يستبشر به المؤمنون .

قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيُقتلون ويُقتلون ، وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم) فأين حالة المسلمين اليوم من هذا الوصف الذي في كتاب الله ؟ وأين حالتهم من سلفهم الذين كانوا يتهاقنون على الموت لاحراز الشهادة وكثيراً ما كانوا ينشدون الموت ولا يجدونه ؟ وكان فارسهم يكر وهو يقول : اني لأشم ريح الجنة، ثم لا يزال يكر ويخوض غمرات الحرب حتى اذا استشهد قال هذا يوم الفرح ، واذا فاتته الشهادة برغم حرصه عليها عاد الى قومه حزينا

المقابلة بين حالي المسلمين والافرنج اليوم

اليوم فقد المسلمون أو أكثرهم هذه الحماسة التي كانت عند آباؤهم ، وقد تخلق بها أعداء الاسلام الذين لم يوصهم كتابهم بها ، فتجد أجنادهم تتوارد على حياض الناياسبا ، وتلقى الاسنة والحراب عناقا ، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائس وتضحيتهم للنفوس في الحرب العامة فوق تصور عقول البشر ، كما يعلم ذلك كل أحد ، فالالمان فقدوا نحو مليوني قتيل ، والفرنسيون فقدوا مليوناً وأربعمائة ألف قتيل ، والانكليز فقدوا ستمائة ألف قتيل ، والاطليان فقدوا أربعمائة وستين ألف قتيل ، والروس

هلك منهم ما يفوق الاحصاء ، وهلم جرا . هذا من جهة النفوس ، وانكثرتا بذلت سبعة مليارات من الذهب (أي سبعة آلاف مليون جنيه) وفرنسة بذلت نحو مليارين ، وألمانية أنفقت ثلاثة ، وإيطالية أنفقت خمسمائة مليون ، والروسية أنفقت ما وقع فيها المجاعة التي آلت الى الثورة ثم الى البلشفة وهلم جرا .

فليقل لي قائل : أية أمة مسامة اليوم تقدم على ما أقدم عليه هؤلاء النصارى من بيع النفوس وانفاق الاموال بدون حساب في سبيل أوطانهم ودولهم حتى نعجب لماذا آتاهم الله هذه المنعة والعظمة والثروة وحرم المسلمين اليوم أقل جزء منها ؟

وقد يقال : ان المسلمين فقراء ليس عندهم هذه الاوال لينفقوا . هذا الانفاق كله . فنجيب بأننا نوزع هذه النفقات على الاوربيين بنسبة رأس المال ولا نكلف المسلمين إلا الانفاق مثل الاوربيين على هذه النسبة . فهل تسخو الامم الاسلامية الحاضرة بما تسخو الامم الاوربية التي منها من قد أنفقت في الحرب العامة أكثر من نصف ثروتها ؟

الجواب : لا . ليس في المسلمين اليوم من يفعل ذلك لا افراداً

ولا أقواماً

وقد يقال : ان الامة التركية وهي أمة مسنة قد أنفقت كل ما تقدر

عليه في حرب اليونان ولم تقصر عن شأو الاوربيين في المفاداة
بالانفس والنفائس

والجواب : نعم . قد كان ذلك . ومن اترك من بذل ثلث ثروته .
ومنهم من بذل نصف ثروته في هذه الحرب ، ولكنهم لما فعلوا ذلك
انقلبوا بنعمة من الله وفازوا ، وحرروا انفسهم واستقلوا ، وارتفعوا
بعد ان كانوا هوانا ، وعزوا بعد ان كانوا ذلوا . اذاً الامم الاسلامية اذا
اتممت في المفاداة بما امرها به كتابها كما كان يفعله آباؤها ، أو اقتدت
على الاقل بما هو دأب الاوربيين اليوم من بذل النفوس والنفائس في
سبيل حفظ بيضتها ، وذود المعتدين عنها ، لم تقطف من ثمرات التضحية إلا
مثل ما قطفه غيرها . وانقلبت بنعمة من الله وفضل لم يمسسها سوء .

ولكن الامم الاسلامية تريد حفظ استقلالها بدون مفاداة
ولانضحية ، ولا بيع أنفس ولا مسابقة إلى الموت ، ولا مجاهدة بالمال ،
وتطالب الله بالنصر على غير الشرط الذي اشترطه في النصر^(١) فان

(١) المنار : يراجع تفصيل هذه المسألة في أجزاء تفسير المنار تجده
بدلالة الفهارس في مواضع من اكثرها ، منها ١٣ . وضما في الجزء الرابع
منه و ٧ . واضم في الجزء الثاني ، وآخرها في آخر الجزء التاسع ولها مزيد
في الجزء الاثر الذي سيصدر قريبا

الله سبحانه يقول (ولينصرن الله من ينصره) ويقول (إن تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

ومن المعلوم أن الله تعالى غير محتاج إلى نصره أحد ، وإنما يريد
بنصرته تعالى اطاعة أوامره واجتناب نواهيه . ولكن المسلمين أهملوا جميع
مأمرهم به كتابهم (في ذلك) أو أكثره ، واعتمدوا في استحقاق النصره على
كونهم مسلمين موحدين ، وظنوا أن هذا يعنيهم عن الجهاد بالانفس
والاموال . ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة لأنه يجده
أسر عليه من القتل والبذل . ولو كان مجرد الدعاء يعني عن الجهاد
لاستغنى به النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وسلف هذه الامة فانهم الطبقة التي هي
أولى بان يسمع الله دعاءها . ولو كانت الآمال تبلغ بالادعية
والاذكار ، دون الاعمال والآثار ، لانتقضت سنن الكون ، وبطل
التشريع ، ولم يقل الله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) ولم يقل
(وقل عملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ولم يقل للمعتدين عن القتال
(لا تعتذروا إن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم
ورسوله) الآية ولم يقل (إنى لأضيق عمل عامل منكم)

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام ،
وكل مالا يكافهم بذل دم ولا مال ، وانتظروا على ذلك النصر من

الله . وليس الامر كذلك فان عزائم الاسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام ، ولا في الدعاء والاستغفار ، وكيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخافوا ، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا (١)

اعتذار المسلمين عن أنفسهم ورده

يقولون : ليس عند المسلمين ما عند الافرنج من الثروة والسعة لينفقوا في أعمال الخير وفي مساعدة بعضهم بعضا . فنقول لمن يحتج بهذه الحجة : اننا نرضى منهم أن ينفقوا على نسبة رءوس أموالهم كما تقدم الكلام عند ذكر الجهاد بالمال . فهل المسلمون فاعلون ؟

اننا نراهم قد محوا رسوم الاوقاف والمؤسسات الخيرية التي تركها آباؤهم ، فضلا عن كونهم لا يتبرعون باموالهم الخاصة ولا يجرون مع

(١) يظهر أن الامير لم يقرن الزكاة بالصلاة والصيام لعلمه بان أكثرهم تركها وهي ركن الاسلام الديني المادي ، والصلاة ركنه الروحي ، وهم يطلبون الدنيا ويتركون من الاسلام أهم أركانها - الزكاة والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله - وقد وصف الله المؤمنين الصادقين ، بالجهاد باموالهم وأنفسهم فقدم ذكر المال وقال في سياق آيات القتال (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أي بعدم الانفاق وقد قاتل الصحابة (رض) من منع الزكاة ولم يعتدوا باسلامهم بدونها

الاوربيين في ميدان من جهة التبرع لاجل المشروعات العامة ، فكيف يطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة الاوربيين في البسطة والقوة والسلطان وهم مقصرون عنهم بمراحل في الايثار والتضحية ؟ فان العمل لاجل السلطان في الارض ، أشبه بالحرث في الارض ، فبقدر ماتشتغل فيها هي تعطيك . وإن قصرت في العمل قصرت هي في الثمر . والمسلمون يريدون سلطانا يشبه سلطان الاوربيين بدون إيثار ولا بذل ، ولا فقد شيء من لذائذهم ، وينسون أن الله تعالى يقول (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين)

وقد يقولون : اننا جربنا البذل والتضحية ، وابتلينا بالنقص من الاموال والانفس والثمرات وصبرنا ولم يفدنا ذلك شيئا ، وبقي الاوربيون مسلطين علينا ، اني أنقل هذا القول عن بعضهم لاني قد سمعته كثيراً .

والجواب : هل يقدر ان يقولوا لنا ان ما يدعونه من البذل والتضحية يشبه شيئا مما يقوم به النصارى واليهود من هذا القبيل ؟ أو إنه اذا نسب اليه يكون نسبه نسبة الواحد إلى المائة ؟

عندنا مثال حديث العهد هو مسألة فلسطين : حدثت وقائع دموية

بين العرب واليهود في فلسطين فأصيب بها أناس من الفريقين .
فأخذ اليهود في جميع أقطار الدنيا يساعدون المصابين من يهود فلسطين
وأراد العالم الاسلامي أن يساعد عرب فلسطين كما هو طبيعي ، فبلغت
تبرعات اليهود لآبناء ملتهم من فلسطين مليون جنيه ، وبلغت تبرعات
المسلمين كلها ١٣ ألف جنيه أي نحو جزء من مائة

فسيقولون : ان المسلمين لا يملكون مثل ثروة اليهود . ونعود
فنجيبهم . نرضى منهم بان ينفقوا في مساعدة ملتهم على قدر اليهود
والافرنج بالنسبة الى رءوس أموالهم ، ولا نطالب منهم الفقراء الذين
لا يملكون ما يزيد على كفاية عائلاتهم

قال الله تعالى (ايس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل)
ثم قال تعالى (انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا
بان يكونوا مع الخوائف) . ونجيب أيضا : انه وان كان اليهود أغنى
بالأموال من المسلمين فالمسلمون أكثر جداً بالعدد ، لان اليهود عشرون
مليوناً ، والمسلمين نحواً من ثلاثمائة وخمسين مليوناً . فلو ان كلا من
المسلمين تبرع لفلسطين بقرش واحد — وهو الذي لا يعجز عنه أحد
في العالم مهما اشتد فقره — لاجتمع من ذلك ثلاثة ملايين جنيه ونصف

فلنترك تسعة أعشار المسلمين ونفرض هذه الاعانة لفلسطين على عشر واحد منهم أي على ٣٥ مليون نسمة لا غير . وهؤلاء الخمسة والثلاثون مليون نسمة نجدهم حول فلسطين في لحة بصر . فان مسلمي مصر وسورية وفلسطين والعراق ونجد والحجاز واليمن وعمان هم ٣٥ مليوناً . ولتتقاض من هؤلاء أداء قرش واحد عن كل جمجمة ، فماذا يجتمع لنا من ذلك ؟ الجواب : يجتمع ثلاثمائة وخمسون الف جنيهه

فالمسلمون قد تبرعوا عن هذه الاعداد كلها بثلاثة عشر الف جنيهه أي بما يساوي نحو ثلثي عشر القرش عن كل نسمة من عشر عدد هم أهذا ما تريدون أن تسموه « تضحية » ؟

أو يمثل هذا تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ؟

او هذه درجة نجاتكم لاخوانكم في الدين وجيرانكم في الوطن والقائمين عنكم بالدفاع عن المسجد الأقصى الذي هو « ثالث الحرمين وأول القبليتين » أفلم يقل الله تعالى (أما المؤمنون أخوة) أفهذه نجدة الاخ لاخيه؟ يقولون لماذا سادت الامة الانكليزية هذه السيادة كلها في العالم؟ نجيبهم : انها سادت بالاخلاق وبالمباديء . حدثني رجل ثقة انه يعرف انكليزي اذا منصب في الشرق كان يأمر خادمه أن يشتري له الحوائج اللازمة لبيته يومياً من دكان رجل انكليزي في البلدة التي هم فيها . فجاءه

الخدّام مرة بمجدول حساب وقرّ عليه به ٢٠ جنيتها في مدة شهر . فسأله
الانكليزي : كيف أمكنك هذا التوفير ؟ فقال الخدّام : تركنا دكان
الانكليزي الذي كنا نشترى منه وصرنا نشترى من دكان أحد
الاهالي العرب . فقال له الانكليزي : ارجع الى دكان الانكليزي
الذي كنا نشترى منه . فقال الخدّام : او لو كان ذلك يستلزم انفاق
٢٠ جنيتها زيادة ؟ قال الانكليزي : ولو كان يستلزم انفاق ٢٠ جنيتها
زيادة . وسمعت ان كثيرين من الانكليز الذين في الاقطار لا يشترى
شيئا ذا قيمة الا من بلادهم ويرسلون الى اندرة فيوصون على كل ما
يحتاجون اليه حتى لا يذهب ما لهم الى الخارج . أفقيس هذا باعمال
المسلمين الذين مهما أوصيتهم بالشراء من أبناء جلدتهم أو أوطانهم
وعلموا انهم يقدرّون أن يوفروا في الساعة الواحدة نصف قرش اذا
أخذوا من الافرنجي تركوا ابن جلدتهم او ملتهم ورجعوا الافرنجي ؟
أفلم يكن سبب حبوط مقاطعة العرب لليهود في فلسطين أشياء كهذه ؟
حرموا أنفسهم أمضى سلاح في يدهم وهو المقاطعة في الاخذ والعطاء
مع اليهود من أجل فروق تافهة مؤقتة ونسوا ان الضرر الذي يصيبهم
من الاخذ والعطاء مع اليهود هو أعظم الف مرة من ضرر هاتيك الفروق
الزهيدة

وكنت مرة أشكو الى أحد كبار المصريين اهمال اخواننا المصريين
لمجاهدي طرابلس وبرقة الذين ان لم تجب عليهم نجدتهم قياما بواجب
الاخوة الاسلامية والجوار ، وجبت عليهم احتياطاً من وراء استئصال
مصر واستقبال مصر ، لانه كما أن وجود الانكليز في السودان هو
تهديد دائم لمصر ، فوجود الطليان في برقة هو تهديد دائم لها أيضا .
فيكان جواب ذلك السيدلي : لقد بذل المصريون مبالغ وفيرة يوم
سنت ايطالية الغارة على طرابلس ولم يستفيدوا شيئاً فان ايطالية لم تلبث
ان أخذتها

فقلت له : ان المصريين قد نهضوا في الحرب الطرابلسية نهضة
هي بدون شك ترضي كل مسلم ، بل ترضي كل انسان يقدر قدر الحمية .
ولكن المبلغ الذي تبرعوا به يومئذ معلوم وهو ١٥٠ الف جنيه . فهل
يطمع المسامون في أنحاء المعمور أن ينقذوا طرابلس من براثن ايطالية
بمائة وخمسين الف جنيه ؟ وهل هذه التضحية تقاس في كثير او قليل
الى التضحيات التي قامت بها ايطالية بالمال والرجال ؟
كانت اعانة مصر في الحرب الطرابلسية ١٥٠ الف جنيه ، وأنفقت
الدولة العثمانية على تلك الحرب نحو مليون جنيه
فانظر الى ما كان لذلك من النتائج :

(النتيجة الاولى) وهي أهم شيء : حفظ شرف الاسلام ، وإفهام
الاوربيين ان الاسلام لم يمت ، وان المسلمين لا يسهون بلدانهم بدون
حرب ، وفي ذلك من الفائدة المادية والمعنوية للاسلام ما لا ينكره إلا
كل مكابر

(النتيجة الثانية) ان هذا المبلغ الضئيل بالنسبة الى نفقات الدول
الحربية قد كان السبب في توطين الطرابلسيين أنفسهم على المقاومة
والمجاهدة بما رأوا من نجدة اخوانهم لهم . فكانت هذه المقاومة سبباً
لتجشم ايطاليا المعتدية من المشاق والخسائر ما هو فوق الوصف الى أن
صار كثير من ساسة الطليان يصرحون بندمهم على هذه الغارة الطرابلسية
(النتيجة الثالثة) مهما يكن من عدد القتلى الذين فقدهم العرب في هذه
الحرب فإن مجموع قتلى الطليان الى اليوم يفوق مجموع قتلى العرب أضعافاً
مضاعفة . فلتدلفي الطليان في هذه الحرب من الاهوال ما لا يتسع لوصفه
مقالة أو رسالة . وفي واقعة واحدة هي واقعة «الفويهات» على باب بنغازي
ثبت فيها ١٥٠ مجاهداً عربياً لثلاثة آلاف جندي طلياني من الفجر الى
غروب الشمس الى أن انقضوا جميعاً ، إلا أفذاذاً أتى عليهم الليل ،
ورجع العدو ولما يموتوا . وبينما كان العرب في حزن عظيم على من
فقدوهم في تلك المعركة إذ جاءهم الخبر البرقي من الاستانة عن برقية وردت

اليها سرّاً من برلين عن برقية رقية جاءت من سفارة الالمان في رومية
بأنه سقط في هذه المعركة ألف وخمسمائة جندي من الطليان ، وأصاب
الجنون سبعة من ضباطهم . وهذه وقعة من خمسين وقعة بالاقبل تضاهاها ،
فالمسلمون قد قاتلوا في هذه المعركة جيشا يفوقهم في العدد عشرين ضعفا
وقتلوا نصفه أي قتلوا عشرة أضعافهم - والله تعالى قد قدر لهم في حال
القوة أن يغلّبوا عشرة أضعافهم وفي حال الضعف أن يغلّبوا ضعفهم فقط
كما قال في سورة الانفال (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن
منكم عشرون صابرون يغلّبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلّبوا ألفا من
الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم أن
فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلّبوا مائتين وإن يكن منكم ألف
يغلّبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين)

(النتيجة الرابعة) انه قد كانت نفقات ايطالية في الحرب الطرابلسية
في السنة الاولى منها أي من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٢ نحو مائة مليون
جنيه ، ويظن انها من عشرين سنة الى اليوم - اذ المقاومة لم تنقطع حتى
هذه الساعة - قد بلغت ثلاثمائة مليون جنيه

فهذا كان كنه نتيجة تلك الاعانة القليلة والنفقات الضئيلة التي قام بها
المسلمون في تلك الحرب ، ولكن المسلمين ينتظرون أن تنهزم ايطالية

الدولة الكبيرة التي أهلها ٤١ مليون نسمة ودخلها السنوي ٢٠٠ مليون جنيه في صدمة واحدة أو في السنة الأولى من الحرب (١) وان لم يتحقق

(١) أي هذا عددها ، وهذا دخلها ، وهذا اتفاقها على الحرب .
وأما عصبيتها وضرورتها في سفك دماء المسلمين فحسب المسلم الذي لم يفسده
التفرنج والاحادان يقرأ النشيد الطلياني الذي تنقل ترجمته عن جريدة
الفتح نقلا عن جريدة التمرق عدد ٥٤٣ وهو :

ان من أعظم الآلام لشاب في العشرين من عمره ان لا يحارب
في سبيل وطنه مع دوام القتال في طرابلس ، والراية اثنتي عشرة اللون
والموسيقى الحربية تنبهان النفس المقدامة . يا أمه أمي صلاحي ولا تبكي ،
بل اضحكي وتألمي ، ألا تعلمين ان إيطاليا تدعوني وانا ذاهب الى
(طرابلس) فرحاً مسروراً لا بذل دمي في سبيل سحق الامة المنعونة
(كذا) ولا حارب الديانة الاسلامية التي تحب البنات الابكار للسلطان (*)
سأقاتل بكل قوتي لحو القرآن (كذا)

ليس بأهل للمجد من لم يمت لإيطاليا حقاً
تحمسي أيتها الوالدة ، تذكري (كاروني) التي جادت باولادها في
سبيل وطنها ... =

(*) الديانة الاسلامية لا تحب البنات الابكار لغيره من المسلمين
وهو تزوج البكر والتيب ، ولكن الافرنج تبسح لهم نصراً نيتمهم الاقتراء
على الاسلام وتبسح لهم مدينتهم الزنا حتى أنفسدوا كل قدار دخلوه ببغاياهم
ولا سيما الطليان منهم

أملهم هذا انقطع منهم كل رجاء وبطلت كل حركة ، وأصاب بعضهم
الأيأس الذي هو مرادف للكفر بصريح الذكر الحكيم (انه لا ييأس
من روح الله إلا القوم الكافرون)

ولنضرب مثلاً ثالثاً ونمسك بعده عن ضرب الامثال لانها لا تعد

ولا تحصى :

قام أهل الريف في وجه الدولة الاسبانية مدة بضع سنين الى أن
تغلبوا عليها وطردها جيوشها بعد أن أبادوا منهم في واقعة واحدة ٢٦
ألف جندي وغنموا ١٧٠٠ مدفعاً وجميع أهل الريف بقضيتهم وقضيضهم
ثمانمائة ألف نسمة. وعدد أهالي اسبانية ٢٢ مليون نسمة ، وأراضي

= يا أمه انا مسافر ، الاتعمين ان على الامواج الزرقاء الصافية من
بحرنا ستلقي سفائننا الراسي ؟ انا ذاهب الى طرابلس مسروراً لان
رايتنا المثلثة الالوان تدعوني ، وذلك القطر تحت ظلها

لا تموتي لاننا في طريق الحياة ، وان لم ارجع فلا تبكي على ولدك ،
ولكن اذهبي في كل مساء وزوري المقبرة ونسائم الاصيل تحمل الى
طرابلس وداعك الذي يأبى الحداد على قبر نلذة كبدك ، وان سألك
أحد عن عدم حدادك علي فاجيبه : انه مات في محاربة الاسلام

الطليل يقرع يا أمه . انا ذاهب أيضاً . ألا تسمعين هزج الحرب ،
دعيني أطاقك وأذهب !

الريف أكثرها قاحل والاهالي فيه فقراء يعيشون من كسب أيديهم،
ولقد قاموا بعمل أدهش أهل الارض بالطول والعرض
فلو كان أهل الريف نصارى لانتالت عليهم الملايين من الجنيهاات
من كل الجهات إما بطريقة خفية وإما بواسطة جمعية الصليب الاحمر في
سبيل مداواة جرحاهم

فليقل لنا المسلمون كم جنيتها قدموا للريف في ذلك الوقت ؟
ثم تألب الفرنسيس مع الاسبانيول وحشدوا الحرب الريفين
٣٠٠٠ ألف مقاتل وحصروا الريف من كل جانب من البر والبحر، وكانت
طياراتهم القاذفة بالديناميت على قرى الريفين تحصى بالمئات لا بالاعشرات
ولم تكف طيارات الفرنسيس والاسبانيول حتى جاء سرب طيارات
أميركية من نيويورك فجددة لفرنسة واسبانية (النصرانيتين على
المسلمين لانهم مسلمون)

هذا كله والمسلمون ينظرون الى حرب الريف مكتوفي الايدي ،
ولم يثوا مكتوفي الايدي مدة سنة، وأخيراً هض منهم أفراد لجمع شي، من أجل
جرحى الريف، ولاجل بعث الحمية في الناس لم يكتبف محر هذه السطور
بالكتابة بل تبرعت باربعة جنيتها لاجل اقدودة، فماذا كان مجموع تلك
الاعانات من كل العالم الاسلامي؟ الجواب ١٥٠٠ جنيه

خيانتهم بعضهم المسلمين لربهم ووطنهم واعتزازهم بالباطل

ويا ليت المسلمين وقفوا عندهذا الحد في خذلان الريفيين بل قامت
منهم فئام بقاتلون الريفيين باشد مما يقاتلون به الاجانب ، وتألمت على محمد
ابن عبد الكريم قبائل وافرة العدد شديدة البأس ومالوا الفرنسيين
والاسبانيول على ابناء ملتهم ووطنهم تزلقا الى الفرنسيين والاسبانيول
وابتغاء الحظوة لديهم . وقد جرى مثل ذلك عندنا في سورية يوم الثورة على
فرنسة ، وجرى في بلاد اسلامية كثيرة ، أفبمثل هذه الاعمال يطالب
أخونا الشيخ بسيوني عمران ربه بما وعد تعالى به من جعل العزة للمؤمنين ؟
واذا سألت هؤلاء المساميين المماليك للعدو على اخوانهم : كيف
تفعلون مثل هذا وانتم تعلمون انه مخالف للدين وللشرف وللفتوة وللمروءة
وللمصلحة وللسياسة ؟ أجابوك : كيف نصنع فن الاجانب انتدبوننا ولولم
نعمل لبطشوا بنا ، فاضطررنا الى القتال في صفوفهم خوفا منهم ؟ ونسوا
قوله تعالى (أنخشوهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين) وقوله
تعالى (فلا تخفوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)

وكلام مثل هؤلاء في الاعتذار غير صحيح فان الاجانب قد ندبوا
كثيراً من المسلمين الى خيانات كهذه فلم يجيبوهم ولم تنقض عليهم

السماء من فوقهم ، ولا خسفت بهم الارض من تحتهم ، ثم انه ان كان
الاجانب المحتلون لبلاد المسلمين قد أصبحوا يعضون على المسلمين
الذين لا يلبون دعوتهم الى خيانة قوههم ، فتما كان ذلك من أجل ان
كثيرين من المسلمين كانوا يعرضون عليهم خدمتهم في مقاومة اخوانهم
ويقومون بها بكل نشاط ومناصحة ، ويبدون كل أمانة لهم في أثناء تلك
الخيانة . ولولا هذا التبرع بالحياة ، والتسرع الى مظاهرة الاجنبي على
ابن الملة ، لما استأسد الاجنبي وصار يتحكم في المسلمين هذا التحكم
الفاحش ، ويتقاضاهم أن يخالفوا قواعد دينهم ومقتضى مصلحة دنياهم
من أجل مصاحته ، بل قام يحملهم على الموت لاجل الموت
فإن الموت موتان : أحدهما الموت لاجل الحياة وهو الموت الذي
حث عليه القرآن المؤمنين اذا مد العدو يده اليهم ، وهو الموت الذي
قال عنه الشاعر العربي :

تاخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل ان اتقدما
وهو الموت الذي يموته الافرنسي لاجل حياة فرنسة ، والالمانى
لاجل حياة ألمانية ، والانكليزي في سبيل بريطانيا العظمى — وهلم
جراً — ويجده على نفسه واجباً لا يتاخر عن أدائه طرفه عين
وأما الموت الثاني فهو الموت لاجل استمرار الموت ، وهو الموت

الذي يموته المسلمون في خدمة الدول التي استوات على بلادهم .
وذلك انهم يموتون حتى ينصروها على اعدائها كما يموت المغربي مثلاً
حتى تنتصر فرنسا على الألمانية مثلاً، ويموت الهندي حتى تتغلب انكلترة
على اي عدو لها . ويموت التتري في سبيل ظفر الروسية . والحال انه
بانتصار فرنسا على اعدائها تزداد في المغرب غطرسة وظلماً وابتزازاً
لأملاك المسلمين وهضمًا لحقوقهم . وذلك كما حصل بعد الحرب العامة اذ
ازداد طمع الفرنسيين في اهل المغرب وحدثوا انفسهم بتنصير البربر
وبالاختصار يموت المغربي على ضفاف اليرين او في سورية حتى
يزداد موتاً في المغرب، لان كل طائفة تفوز بها فرنسا في الخارج هي زيادة
في قهر المغربي وإعناته واذلاله مما لا سبيل للمناكرة فيه ، ومما قد ثبت
بالتجربة . وكذلك موت الهندي في سبيل نصرة انكلترة هو تطويل
في اجل عبودية الهند . وكذلك موت التتري في خدمة الروسية لا
عاقبة له سوى ازدياد قهر الروس للتتر . وهلم جراً

وهذا الموت لاجل الموت هو ما كان يخطط منحن كما يقال، اي باعتبار
النتيجة ، ولكنه هناك موت لاجل الموت مباشرة بدون واسطة ،
وهو عند ما يموت المغربي في قتال أخيه المغربي الذي قام يحاول أن
يزحزح شيئاً من النير الافرنسي الذي كاد يدق عنقه، وان لم يدق عنقه
بماتنا استحياء حياة هي اشبه بالموت

ولو انحصرت هذه الامور في العوام والجهلاء لعذرناهم بجهلهم ،
وقانا انهم لا يدرون الكتاب ولا السنة ولا السياسة الدنيوية ، ولا
الاحوال المعصرية ، وانهم انما يساقون كما تساق بهيمة الانعام الى الذبح
ولكن الانكى هو خيانة الخواص . مثال ذلك الوزير المقرئ الذي

هو اشد تعصبا لقضية رفع الشريعة الاسلامية من بين البربر من
الفرنسيس أنفسهم . ومثله البغدادي باشا فاس الذي طرح نحو مائة
شخص من شبان فاس وجلدهم بالسياط لكونهم اجتمعوا في جامع
القرويين وأخذوا يرددون دعاء «يا لطيف الطيف بما جرت به المقادير ،
ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر» ومفتي فاس الذي أفتى بان إلغاء
المشروع الاسلامي من بين البربر ايس باخراج للبربر من الاسلام ! وهلم جرا
وكل من هؤلاء الخونة المارقين أخزاهم الله قد بلغ من الكبر عتيا ،
واتخى من أموال الامة شعبا وربا ، وهو لا يزال حريصا على الزلنى
الى فرنسة ، واثبات صداقته لها ولو بضياع دينه ودنياه ، حتى تبقى
عليه منصبه وحظوظه في هذه البقية الباقية من حياته التاعسة (١)

(١) الغريب في هذا ان أمثال هؤلاء الخونة يبيعون بلادهم كلها
للاجنبي بمن خسيس هو جزء منها لا من مال الاجنبي ، ولو اخلصوا في
صده عنها لكان لهم منها أكثر مما يعطيهم الاجنبي منها ثم يكون باقيا
لاولادهم واهليهم واخوانهم في الدين مع العز والشرف

وايس واحد من هؤلاء ولا من في ضربهم في المغرب الا وهو
مطلع على نيات فرنسة وعلى مراميتها من جهة هذا النظام الجديد لامة
البربر، وليس فيهم الا من هو عارف بوجود جيش من القسوس
والرهبان والراهبات يجوس خلال بلاد البربر ويبنون الكنائس ويتصيد
المقضاء والايتام والفقراء وضعفاء الايمان، وليس فيهم الا من هو عالم
تمنع فرنسة فقهاء الاسلام والوعاظ من التجوال بين البربر حتى ترتفع
الخواجز امام دعوة المبشرين الى النصرانية. وقد يكون المقرري والبغدادي
هذان هما في مقدمة الموقعين على الاوامر بمنع علماء الاسلام وحملته
القرآن من الدخول الى قرى البربر. وقد يكون المقرري هذا هو الذي
خصص المبلغ من مال الخزن جريدة « سرا كش الكاثوليكية » التي
تطعن في الاسلام، وتقذف محمداً عليه الصلاة والسلام، ولدينا كثير
من أعدادها التي تتضمن هذه المطاعن

وبعد هذا فن يدري؟ فقد يكون المقرري مصلياً وصائماً ويده
سبيحة يقرأ عليها أوراداً. ومن يدري؟ فقد يكون البغدادي السيء
الذكر ممن يتمسحون بالقبور ويستغيثون بالاولياء ويتظاهرون بهذا
الورع الكاذب. وأما المفتي فهو المفتي فلا حاجة الى تثبيت كونه يصلي
الخمسة، ويصوم ويتهجد، ويوتر ويتفعل الخ

وقد مضى علينا نحن في سورية شيء من هذا لاوائل عهد الاحتلال
لكن لم تكن خيانة هؤلاء المغممين في قضية دينية مباشرة.. فقد اقترحت
عليهم فرنسة أن يمضوا برقية الى جمعية الامم ينكرون بها عمل المؤتمر
السوري الفلسطيني المطالب باستقلال سورية وفلسطين ، فأمضاه منهم
عمائم مكورة ، وطيا لس محررة محررة ، ورقاب غليظة ، وبطون عظيمة ،
وان لم أقل الآن : أخزاهم الله ، أخشى عتاب اخواننا المغاربة الذين
يروني خصصت بهذا الدعاء صدرهم الاعظم ، ومفتيهم الاكبر ،
وأعفيت معلمي سورية ، فلذلك يقضي العدل بأن نقول أخزاهم الله
أجمعين ، أخزى الله الذين منهم في المشرق والمغرب ممن يوقعون على
اقتراحات الاجانب المضرة بالدين والوطن

واعل الاخ الشيخ بسيوني عمران يقول : ان هؤلاء أفراد قلائل
فلا يجوز أن نجعل الامة الاسلامية مسؤولة عن مخازيهم ومواقفهم
والجواب على ذلك : أن الظلم يخص والبلاء يعم كما لا يخفى ، ولكني
لأسلم أن هؤلاء أفراد قلائل ، وأن الامة غير مسؤولة ! إذ لو كان
وراء هؤلاء أمة يخشونها ماتجاسروا على الاتجار بدينها بعد الاتجار
بدينها ، بل كانوا لو اقترح عليهم الفرنسيس اقتراحا مضراً بملتهم
وأمتهم ولم يقدرُوا على رده اعتزلوا مناصبهم ، ولزموا بيوتهم ، وكان

الفرنسيس كلّفوا بالعمل غيرهم ، فإذا أبى الخلف ما أباه السلف مرة بعد مرة علم الفرنسيّ أن لا فائدة في الاصرار ، فعدلوا عن دسيستهم البربرية وما أشبهها ، ولكنهم مصرّون عليها بسبب استظهارهم بأناس ممن يزعمون أنهم « مسلمون » فهم يهدمون الاسلام بمعاول في أيدي أبنائه ، ويقولون لسنا من هذا الامر في قبيل ولا دبير

أفلا ترى كيف قالوا عن الظهير البربري إنه قد أصدره السلطان وحكومة الخنز ؟

أفهدا هو الاسلام الذي يناشد الله الشيخ بسيوني عمران بتأييد أهله ؟ قال الله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصادحون) ولا شك أن « المسلمين » الذين يبلغون هذه الدرجات من الانحطاط وتتركهم الامة الاسلامية وشأنهم يلعبون بحقوقها يستحقون للاسلام التحريض الذي هو فيه ^(١) فانما سمح الله بان يستولي الاجانب

(١) هكذا في الاصل ومعنى يستحقون هنا يستوجبون على قول الفارابي واللام في للاسلام للتقوية والمراد به المسلمون . والمعنى يستوجبون بحرامتهم تحريض المسلمين في جملتهم ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويفسره ما بعده وهو مستنبط من قوله تعالى في سياق غزوة أحد (وليحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فليراجع السياق من سورة آل عمران وتفسيره المؤثر في الجزء الرابع من تفسير المنار

على ديار المسلمين ويجعلوهم خولا ، ويفتصبوا جميع حقوقهم ، نعالما لهم
وتهديبا ، وتصفية وتطهيراً كما يصفى الذهب الابريز بالنار
قال الله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)

لقد أصبح الفساد إلى حد أن أكبر أعداء المسلمين هم المسلمون .
وأن المسلم إذا أراد أن يخدم ملته أو وطنه قد يخشى أن يبوح بالسِر
من ذلك لآخيه ، إذ يحتمل أن يذهب هذا إلى الاجانب المحتلين
فيقدم لهم بحق أخيه الوشاية التي يرجو بها بعض الزاني ، وقد يكون
أمله بها فارغاً

ولله دز الملك ابن سعود حيث يقول : ما أخشى على المسلمين إلا
من المسلمين ، ما أخشى من الاجانب كما أخشى من المسلمين ^(١)

(١) وقال في محفل حافل بحجاج الاقطار — وقد طال به مصرى أزهرى
بمحاربة الانكليز والفرنسيس المتمدنين على المسلمين ذا كر أعداوتهم لهم :-
الانكليز والفرنسيس معذورون إذا عادونا لانه لا يجتمعنا بهم جنس ولا
دين ولا لغة ولا مصلحة ، ولكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها ان المسلمين
أصبحوا أعداء أنفسهم ، وأنا والله لا أخاف الاجانب وإنما أخاف من
المسلمين ، فلو حاربت الانكليز لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين

وهو كلام أصاب كبد الصواب ، فانه ما من فتح فتحه الاجانب من بلاد المسلمين إلا كان نصفه أو قسم منه على أيدي أناس من المسلمين ، منهم من تجسس للاجانب على قومه ، ومنهم من بث لهم الدعاية بين قومه ، ومنهم من سل لهم السيف في وجه قومه ، وأسأل في خدمتهم دم قومه

فأين اسلامهم وايمانهم من قوله (انما المؤمنون إخوة) وقوله (ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقوله (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم) ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) وقوله (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)

أفبمثل هذا تكون طاعة الله ورسوله ؟ أم بمثله تكون اخوة الايمان وولايته وولاية أهله ؟

أو لمثل هؤلاء يعد الله العز والنصر والتمكين في الارض ، وهم سعاة بين أيدي الاجانب على ملتهم ووطنهم وقومهم ؟ كما عاتبهم الانسان على خيانة اعتدروا بعدد امكان المقاومة ، أو باتقاء ظلم الاجنبي ، أو بارتكاب أخف الضررين ؟ وجميع اعدارهم لا تتكيء على شيء من الحق . ولقد كانوا قادرين أن يخدموا ملتهم بسيوفهم فان لم يستطيعوا فبأفلامهم ،

فان لم يستطيعوا فبألسنتهم ، فان لم يستطيعوا فبقلوبهم (١) فأبوا الا
أن يكونوا بطانة الاجانب على قومهم ، وأبوا إلا أن يكونوا رواداً لهم
على بلادهم ، وأبوا إلا أن يكونوا مطايا للاجانب على أوطانهم ، وتراهم
مع ذلك وافرين ناعمي البال ، متمتعين بالهناء ووصفاء العيش ، وهم يأكلون
مما باعوا من تراث المسلمين ، ومما فجروا من دماء المسلمين ، وبنامون
مستريحين . مثل هؤلاء ليس لهم وجدان يمسذ بهم من الداخل ، ولا
نجد من المسلمين من يجرأ أن يعذبهم من الخارج

لم نكن لنطلق الكلام اطلاقاً على العالم الاسلامي في هذا الموضوع ،
فان الامة الافغانية مثلاً لا يمكن أحداً أن يحطب فيها في حبل الاجانب
علنا ويبقى حياً ، والنجديون لا يوجد فيهم من يجرأ أن يمالئ الاجانب
على قومه ، والمصريون قد ارتقت تربيتهم السياسية كثيراً عن ذي
قبل ، فأصبحت مجاهرة أحدهم بالميل للاجنبي أو تفضيل حكم الاجنبي
خطراً عليه . فأما في سائر بلاد الاسلام فمن شاء من المسلمين أن يخلع

(١) إشارة إلى حديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » ، فان لم يستطع
فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضف الايمان » رواه أحمد ومسلم
وأصحاب السنن كلهم وهذا في وجوب تغيير المنكرات يفعلها المسلم ، فاذا يقال في
مقاومة هدم الاسلام من أساسه ؟

الرسن وبجأهر بالعصوبة اعدو دينه وبلده فلا يخشى شرآء، ولا يحاذر قلقتا
ولا أرقا .

أفلمثل هؤلاء يقول الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني
لا يشركون بي شيئا) ؟

حاشى لله أن يكون تعالى عنى بهؤلاء « المسلمين » الذين
يخونون ملتهم ويسعون بين يدي أعدائها ويناصبون اخوانهم العداوة
ابتغاء مرضاة الاجانب والحصول على دنيا زائلة وخطام فان، كيف وقد
قرن الايمان بلازمه وهو عمل الصالحات ؟ بتسما شروابه أنفسهم .
وكذلك لايعني الله بهؤلاء المسلمين الذين ان لم يكونوا خامروا على
قومهم ، وسعوا بين أيدي الاجانب في خراب أمتهم ، وأوطأوا
مناكبهم لر كوب الغريب الطامح ، فانهم اكتفوا من الاسلام بالركوع
والسجود ، والاؤرادوا الأذكار ، واطالة السبحة ، والتلوم في السجدة ،
وظنوا أن هذا هو الاسلام ، ولو كان هذا كافيافي اسلام المرء وفوزه في
الدنيا والأخرى لما كان القرآن ملآن بالتحريض على الجهاد ، والايثار
على النفس ، والصدق والصبر ، ونجدة المؤمن لأخيه ، والعدل والاحسان ،

وجميع مكارم الاخلاق . ولو كان هذا كافيا لاجل التحقق بالاسلام
لما قال الله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتر بصوا حتى يأتي
الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)^(١)

أفيقدر أخونا الشيخ بسموني عمران أو غيره ان يقول ان المسلمين
اليوم إلا النادر الاندر ، والكبيريت الاحمر ، يفضلون الله ورسوله على
آبائهم وأبنائهم وأخوانهم وأزواجهم وتجارتهم وأموالهم ومساكنهم؟
أو يؤثرون حب الله ورسوله - وانما حب الله ورسوله إقامة الاسلام -
على الجزء اليسير من أموال اقترفوها . وتجارة يخشون كسادها ؟
لنعمل هذه التجربة .. فبضدها تتبين الاشياء

لنفرض أن مشكلة تنصير البربر دخلت في طور النجاح ، وانتدب
البابا الكاثوليك الذين في العالم لبذل الاموال اللازمة لهذا التحويل
الذي تتوخاه فرنسة في البربر من دين الاسلام إلى دين النصرانية ،
فكم مليوناً تظن من الجنيهاً يدر على المبشرين والرهبان والراهبات
لبناء الكنائس والمدارس والملاجيء والمستشفيات ومراكز الاستشفيات
(١) راجع تفسير الآية وما قبلها في ص ٢٢٤-٢٤٢ ج ١٠ من تفسير المنار

وما أشبه ذلك لاتمام هذا العمل الذي تضم به الكشلكة ثمانية ملايين من البرابر إلى الاربعائة مليون كاثوليكى الذين في العالم ؟

لاشك أن الجواب يكون : عدة ملايين تجمع في بضعة أشهر

فان قيل للبروتستانت : تعالوا فقد أذناكم بتنصير البرابرة فابدلوا في هذه السبيل ما أمكنكم ، فلنما تدر حينئذ الملايين بقدر ضعفي ما يدر من الكاثوليك وفي مدة أقصر من المدة التي يجتمع فيها المال الذي يجود به الكاثوليك

فلنقل للمسلمين : ان البرابرة صاروا على شفا الخروج من الاسلام ، وإن الاس في هذا الصبوء عن دين الاسلام هو الجهل . فعلينا أن نرسل اليهم علماء ووعاظا ايتقوها في الدين ، وان نبني لهم المساجد والمدارس والكتاتيب والملاجيء إلى غير ذلك من الوسائل التي تمسك بحجزاتهم عن مفارقة الاسلام والمسلمين

فكم تظن المبلغ الذي يجود به المسلمون بعد اللتيا والتي لهذا العمل ؟ لاأظن انهم يجودون بما يتجاوز جزءاً من مائة مما يبذله الكاثوليك أو البروتستانت

فهذه هي حمية المسيحيين على دينهم ، وهذه هي حمية المسلمين ، ومن الناس من يسأل عن أسباب انحطاط المسلمين وقصورهم عن مباراة

سواهم ، ولو تأمل في هذه الفزوق في النهضة والحماسة لوجد عندها
الجواب الكافي

ومن أغرب الامور أن نرى الاوربيين ودعاتهم وتلاميذهم
من الشرقيين بعد هذا كله يتهمون المسلمين بالتعصب الديني ، وينبذونهم
بالبقرة ، وينتحلون لأنفسهم التساهل في الدين ! ان هذا والله لعجب عجاب
وها أنا ذا الآن في كتابتي هذه التي معناها الدفاع لا التجاوز ،
والاستاذ الاكبر صاحب المنار ، وعبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية
الشبان المسلمين ، والاستاذ صاحب مجلة الفتح - وغيرنا من الرجال
الذين يبعون منع الاعتداء على الاسلام وينادون المسلمين ليتنبهوا للخطر
المخدق بهم - متهمون بالتعصب الديني ومنبوزون بهذه السكامة ، لا بين
غير المسلمين فقط ، بل بين المسلمين الجغرافيين أيضاً - أعني الذين
يتباهون بأن سياستهم « لادينية » وطالما صرحوا بانهم لا يقيمون
للدين وزناً ، وطالما تزلفوا إلى المسيحيين بكونهم هم لا يدافعون عن
الدين الاسلامي كما يدافع زيد وعمر و...

فالمسلم اذاً لا يخلص من لقب « متعصب » إلا اذا سمع أن
الفرنسيس يحاولون تنصير البربر فمر بذلك كأن لم يسمع شيئاً ، وإلا
اذا سمع أن الهولانديين نصرروا مائة ألف - وقد زعم أحد نواب

البرلمان الهولاندي أنهم فازوا بتنصير مليون مسلم من مسلمي الجاوي
وهز كتفه قائلا : أنا لايمني أكان الجاوي مسلما أم مسيحيا ... —
هنالك «المسلم» يصير «راقيا» ويعد «عصريا» ويقال فيه كل خير!؟
وأما الاوربي فله أن يبذل القناطر المقنطرة على بث الدعاية
المسيحية بين المسلمين ، وله أن يحميها بالمدافع والطائرات والدبابات ،
وله أن يحول بين المسلمين ودينهم بالذات وبالواسطة ، وله أن يدس كل
دسيسة ممكنة لهدم الاسلام في بلاد الاسلام ، وليس عليه حرج في
ذلك ، ولا يسلبه هذا العمل صفة « راق » و « متمدن » و «عصري»
وأغرب من هذا أنه لايسلبه نعت « مدني » و «لاديني» و «متساهل»
وهؤلاء « المسلمون الجغرافيون » برغم هذه الشواهد الباهرة
للأعين ، وبرغم ماعلمته جمهورية فرنسة « اللادينية » في قضية البربر
لما رب دينية كاثوليكية ، وبرغم حماية هولاندة لمبشري الانجيل
في الجاوى ، وبرغم قرار الحكومة البلجيكية رسميا اكمال تنصير أهل
الكونغو ، وبرغم منع الانكليز في الاوغاندة وفي دار السلام — وكذا
السودان — بث الدعاية الاسلامية بين الزوج ، وبرغم أمور كثيرة
لايسعنا الآن شرحها ، لايزالون يخذعون المسلمين قائلين لهم : ان
أوربة قد رفت الدين برجلها وسارت على خطة لادينية ، وبذلك قد

نجحت ونحن لن نفلح مادنا سائرين على خطة اسلامية (١)
قد قام بيث هذه السفسطة أناس في تركيا ووجدوا ممن تلقاها
بالتبول عدداً كبيراً . وترى أناسا في مصر والشام والعراق وفارس
يقولون بها ويكابرون في المحسوس ولا يبالون ، لانهم يجدون على كل
الاحوال من الاغرار من يصدقهم

أهم اسباب تأخر المسلمين

فن أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل ، الذي يجعل فيهم من
لا يميز بين الحمر والخل ، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة ولا يعرف أن
يرد عليها

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص ، الذي هو أشد
خطراً من الجهل البسيط ، لان الجاهل اذا قيص الله له مرشداً عالماً
أطاعه ولم يتفلسف عليه ، فاما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يمتنع
بانه لا يدري ، وكما قيل : ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف
مجنون ، اقول : ابتلاؤكم بجاهل ، خير من ابتلائكم بشبه عالم

(١) وقد صدقوا لكن بمعنى أننا لن نفلح ما دنا على هذه الخطة
التي نكذب بتسميتها إسلامية وأتانا نفلح اذا قنا بحقوق إسلامنا كما
يقومون بحقوق دينهم أو أشد

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين فساد الاخلاق، بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن ، والعزائم التي حمل عليها سلف هذه الامة وبها أدركوا ما أدركوه من الفلاح ، والاخلاق في تكوين الامة فوق المعارف، والله در شوقي إذ قال :

وانما الامة الاخلاق مابقيت فان هم ذهبوا اخلاقهم ذهبوا
ومن أكبر عوامل تهقر المسلمين فساد أخلاق أمرائهم بنوع خاص ، وظن هؤلاء — إلا من رحم ربك — أن الامة خلقت لهم ، وان لهم أن يفعلوا بها ما يشاءون ، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى اذا حاول محاول أن يقيمهم على الجادة بطشوا به عبرة لغيره . وجاء العلماء المتزلفون لاولئك الامراء المتقلبون في نعمائهم ، الضاربون بالملاعق في حلوائهم ، وأفتوا لهم بجواز قبل ذلك الناصح بحجة انه شق عصا الطاعة ، وخرج عن الجماعة

ولقد عهد الاسلام الى العلماء بتقويم اود الامراء . وكانوا في الدول الاسلامية الفاضلة بمثابة المجالس النيابية في هذا العصر ، يسيطرون على الامة ، ويسددون خطوات الملك ، ويرفعون أصواتهم عند طغيان الدولة ، ويهيبون بالخليفة فن بعده الى الصواب . وهكذا كانت تستقيم الامور لان أكثر اولئك العلماء كانوا متحققين بالزهد ، متحلين بالورع ،

متخلين عن حظوظ الدنيا ، لا يهتمهم أغضب الملك الظالم الجبار أم رضي .
فيكان الخلائف والملوك يرهبونهم ، ويخشون مخالفتهم ، ولما يعلمون من
انقياد العامة لهم ، واعتقاد الامة بهم ، الا انه بمرور الايام خلف من
بعد هؤلاء خلف اتخذوا العلم مهنة للتعيش ، وجعلوا الدين مصيدة للدنيا ،
فسوغوا للفاسقين من الامراء أشنع موبقاتهم ، وأباحوا لهم باسم الدين
خرق حدود الدين ، وهذا والعامة المساكين مخدوعون بعظمة عمائم
هؤلاء العلماء ، وعلو مناصبهم ، يظنون فتياهم صحيحة ، وآراءهم موافقة
للشريعة ، والفساد بذلك يعظم ، ومصالح الامة تذهب ، والاسلام يتقهقر ،
والعدو يعلو ويتنمر . وكل هذا اثمهم في رقاب هؤلاء العلماء (١)

ومن أعظم عوامل تقهقر المسلمين الجبن والهلع ، بعد أن كانوا أشهر الامم
في الشجاعة واحتقار الموت ، يقوم واحدهم للعشرة وربما للمائة من
غيرهم . فالآن أصبحوا الابعض قبائل منهم يهابون الموت الذي لا يجتمع
خوفه مع الاسلام في قلب واحد . ومن الغريب ان الافرنج المعتدين

(١) وفيما هذه المسألة حقها في المنار واهمها مقالة في المجلد التاسع
(ص ٣٥٧) عنوانها (حال المسلمين في العالمين . ودعوة العلماء الى نصيحة
الامراء والسلاطين) انجينا فيها بالامة على علماء هذا العصر لتقصيرهم في
نصيحة الملوك والامراء ، ويلبها آثار عن السلف في ذلك نشرت في عدة
أجزاء من هذا المجلد

لا يهابون الموت في اعتدائهم ، هيبة المسلمين إياه في دفاعهم . وان المسلمين يرون الغايات البعيدة التي يبلغها الافرنج في استحقاق الحياة والتهافت على الهلكة في سبيل قوميتهم ووطنهم ، ولا تأخذهم من ذلك الغيرة ولا يقولون نحن أولى من هؤلاء باستحقاق الحياة ، وقد قال الله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون)

وقد انضم الى الجبن والهلع اللذين أصابا المسلمين اليأس والقنوط من رحمة الله ، فمنهم فئات قد وقر في أنفسهم ان الافرنج هم الاعلون على كل حال ، وانه لا سبيل لمقابلتهم بوجه من الوجوه ، وان كل مقاومة عبث ، وان كل مناهضة خرق في الرأي . ولم يزل هذا التهيب يزداد ويتخمر في صدور المسلمين امام الاوربيين الى أن صار هؤلاء ينصرون بالرعب ، وصار الاقل منهم يقومون للاكثر من المسلمين . وهذا بعكس ما كان في العصر الاول

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم نسي المسلمون الايام السالفة التي كان فيها العشرون مسلما لاغير يأتون من (برشلونة) الى (فرا كسيمه) من سواحل فرانسة ويستولون على جبل هناك ويبنون به حصنا ويتزايد عددهم حتى يصيروا مائة رجل

فيؤسسون هناك امارة تعصف ريحها بجنوبي فرانسة وشمالى ايطالية ،
وتهادنها ملوك تلك النواحي وتخطب ولاءها ، وتستولي على رؤس
جبال الالب ، وعلى المعابر التي عليها الطرق الشهيرة بين فرانسة
وايطالية ، ، وتضطر جميع قوافل الافرنج أن تؤذي للعرب المكوس
لاجل المرور ، ثم تقدم هذه الدولة العربية الصغيرة في بلاد (البيامون)
مسافات بعيدة الى ان تبلغ سويسرة وبحيرة (كونستانزة) في قلب
أوربة ، وتضم القسم العالي من سويسرة الى أملاكها ، وتبقى خمسة
وتسعين سنة مستولية على هذه الديار الى أن تتألب الامم الافرنجية
عليها ، ولا تزال تناجزها الى أن استأصلتها ، وكانت تلك العصاة
العربية يوم انقرضت لاتزيد على الف وخمسة رجل (وقد نشرنا
تفصيل خبرها في المجلد ٢٤ من المنار)

شبهات الجبهراء الجيئة ووردها

من السخفاء من يقول : نعم قد كان ذلك لكن قبل أن يخرع
الافرنج آلات القتال الحديثة ، وقبل المدافع والدبابات والطائرات ،
وقبل أن يصير الافرنج إلى ما صاروا اليه من القوة المبنية على العلم .
وهذا القول هو منتهى السخف والسفه والحماقة ، فان لكل عصر علما
وصناعة ومدنية تشاكله ، وهي فيه كما هي العلوم والصناعات والمدنية.

الحاضرة في هذا العصر . وأمور الخلق كلها نسبية . ولقد كانت في العصر الذي نتكلم عنه آلات قتال ومنجنيقان ودبابات ونيران مركبة تركيباً مجهولاً اليوم ، وكانت في ذلك الوقت كما هي المدافع والرشاشات وقنابر الديناميت وما أشبه ذلك في هذه الايام . على انه ليست الدبابات والطائرات والرشاشات هي التي تبعث العزائم ، وتوقد نيران الحمية في صدور البشر ، بل الحمية والعزيمة والنجدة هي التي تأتي بالطائرات والدبابات والقنابر . وما هذه إلا مواد صماء لا فرق بينها وبين أي حجر ، فلماذا لا تقدر أن تعمل شيئاً من نفسها ، وإنما الذي يعمل هو الروح فإذا هبت أرواح البشر وتحركت عزائمهم فعند ذلك تجدد الدبابات والطائرات والرشاشات والغواصات ، وكل اداة قتال ونزال على طرف النمام

يقولون : الا أن هذا ينبغي له العلم الحديث ، وهذا العلم مقفود عند المسلمين ، فلذلك أمكن الافرنج ما لم يمكنهم

(والجواب) ان العلم الحديث أيضا يتوقف على الفكرة والعزيمة . ومتى وجدت هاتان وجد العلم الحديث ووجدت الصناعة الحديثة . أفلا ترى أن اليابان إلى حد سنة ١٨٦٨ كانوا أمة كسائر الامم الشرقية الباقية على حالتها القديمة ، فلما أرادوا اللحاق بالامم العزيزة تعلموا علوم الاوربيين ، وصنعوا صناعاتهم ، واتسق لهم ذلك في خمسين سنة .

وكل أمة من أمم الاسلام تريد أن تنهض وتلحق بالامم العزيزة يمكنها ذلك وتبقى مسلمة و متمسكة بدينها ، كما أن اليابانيين تعلموا علوم الاوربيين كلها وضارعوهم ولم يقصروا في شيء عنهم ، ولبثوا يابانيين ولبثوا متمسكين بدينهم وأوضاعهم . وايضا فمتى أرادت أمة مسلمة أدوات أو أسلحة حديثة ولم تجدها ؟ ان ملاك الامر هو الارادة فمتى وجدت الارادة وجد الشيء المراد

فلو أن أمة من أمم الاسلام أرادت أن تتسلح لوجدت السلاح الحديث اللازم بأنواعه وأشكاله من ثاني يوم . ولكن اقتناء السلاح ينبغي له سخاء بالاموال ، وهم لا يريدون أن يبذلوا ، ولا أن يقتدوا بالافرنج والبايان في البذل ، بل يريدون النصره بدون سلاح وعتاد ، أو السلاح والعتاد بدون بذل اموال ، وإذا تغلب العدو عليهم من بعد ذلك صاحوا قائلين : اين المواعيد التي وعدنا إياها القرآن في قوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كأن القرآن ضمن للمؤمنين النصر بدون عمل وبدون كسب وبدون جهاد بالاموال والانفس ، بل بمجرد قولنا اننا مسلمون ، أو بمجرد الدعاء والتسبيح ؟ وأغرب من ذلك بمجرد الاستغاثة بالاولياء ، فأصبح الكثير من المسلمين وهم عزل من السلاح . الحديث وغير مجهزين بالعلم اللازم لاستعماله لا يقومون للقليل من

الافرنج المسلحين المحبزين ، وصاروا إذا التقي الجمعان تدور الدائرة
في اغلب الاحيان على المسلمين . فتوالى هذا الامر عليهم مدة طويلة
إلى أن فقدوا كل ثقة بنفوسهم ، واستولى عليهم القنوط ، ودب فيهم
الرعب ، وألقوا بأنفسهم إلى العدو ، وبعد أن كانوا مسلمين ،
صاروا مستسلمين ، وقد ذهلوا عن قوله تعالى (ولا تمهتوا ولا تحزنوا
وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين * ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح
مثله وتلك الايام نداؤها بين الناس) ونسوا أنه لا يجوز أن يتطرق
اليأس الى قلب أحد لاعقلا ولا شرعا ، ولا سببا المسلم الذي يخبره دينه
بأن اليأس هو الكفر بعينه . وغفلوا عن قوله تعالى في سلفهم (الذين
قل لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء) الآيات

فتجدهم اذا استنهضتهم لمعاونة قوم منهم يقاتلون دولة أجنبية
تريد لتمحوهم كان أول جواب لهم : آية فائدة من بئس أموالنا في هذا
السبيل وتلك الدولة غالبية لا محالة . ولو تأملوا لوجدوا ان الاستسلام
لا يزيدهم إلا ويلا ، ولا يزيد العدو إلا استبدادا وجبروتا ، سنة الله في

خلقه . ولو فكروا قليلاً لرأوا ان هذا الشح بالمال على اخوانهم الذين في
مواطن الجهاد لم يكن توفيراً وانما كان هو الفقر بعينه . لان الامة
المستضعفة لا تعود حرة في تجارتها واقتصادياتها ، بل يمتص العدو
الغالب عليها كل ما فيه علالة رطوبة في أرضها ، ولا يترك للامة
المستضعفة إلا عظاما يتمششونها ، من قبيل « قوت لا يموت » وكثيراً
ما تحصل مساغب ويموتون جوعاً كما يقع كثيراً في جزائر الغرب والهند
وغيرهما ، ترى المجاعات واقعة في الهند ولا يموت منها ولا انكليزي ،
وتراها تشتد في الجزائر ولا يموت بها إلا المسلم . وما السبب في ذلك
إلا أن الاجانب قد استأثروا بخيرات البلاد ولم يتركوا للمسلمين إلا
الفقر . فقام المسلمون اليوم يعتذرون عن عدم بذل الاموال لمساعدة
اخوانهم بعدم وجودها ، وهذا صحيح الى حد محدود ، وذلك انهم بخلوا
بها في الاول فجنوا من بخلهم على الجهاد الذل والخنوع أولاً ، والفقر
والجوع ثانياً . فان من سنن الله في أرضه ان الذل يردفه الفقر ، وان
العز يردفه الثراء ، والمثل العربي يقول : من عز بز . والشاعر العربي
الايادي يقول :

لانذخروا المال للاعداء انهم
ان يظهروا ياخذوكم وانتلادعوا
هيات لا خير في مال وفي نعم
قد احتفظتم بها ان انفكم جدعوا

والمتنبي يقول :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
فالمسلمون عز عليهم المال ففقدوه ، وعزت عليهم الحياة ففقدوها ،
وأبى الله إلا تصديق كلام النبي الموحى إليه حيث يقول « يوشك أن
تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع » قالوا : أو من قلة
فينا يومئذ يا رسول الله ؟ قال « لا ولكنكم غناه كغناء السيل يجعل
الوهل في قلوبكم وينزع من قلوب أعدائكم من حجبكم الدنيا وكرهيتكم
الموت »

هذا الحديث كان رواه لي الشيخ الـكـتـانـي الفاسي رحمه الله يوم
لقيته في المدينة المنورة منذ ثماني عشرة سنة ، ثم قرأته في الكتب
واستشهدت به في مقدمة حاضر العالم الاسلامي ، وألفاظه تختلف في
رواية عن رواية . فلاستاذ صاحب المنار أمتع الله بطول حياته هو
الادري بأصح رواياته^(١) ومعناه ظاهر وهو : ان المسلمين يأتي عليهم

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه والبيهقي في دلائل النبوة عن
ثوبان مرفوعا بلفظ « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة
إلى قصبتها » فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال (ص) « بل أنتم يومئذ
كثير ولكنكم غناه كغناء السيل ، وسينزع عن الله من صدور عدوكم =

يوم يصيرون فيه مأكلة وتمتد اليهم الايدي من كل جهة ، فهذا العصر الذي نحن فيه هو ذلك اليوم ، وان المسلمين لا يكون عيهم يومئذ من

== المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن» - قال قائل : يا رسول الله

وما الوهن ؟ قال « خب الدنيا وكرهية الموت »

قوله صلى الله عليه وسلم « تداعى » أصله تداعى أي تجتمع ويدعو بعضها بعضاً

لسلب ملككم كما تداعى الاكلة وهي جمع آكل كالفملة جمع فاعل إلى قصعة

الطعام ، والغناء بالغم ما يحمله السيل ويلقيه من الزبد والعيذان ونحوها

ويضرب مثلاً لما لا قيمة له ولا فائدة ، والوهن بانون الضعف ، وإنما سأله

السائل عن سببه فأجابه (ص) بأن سببه حب الحياة الدنيا ولذاتها الخسيسة

وإيثارها على الجهاد في الدفاع عن الحقيقة وإعلاء كلمة الله ، وكرهية الموت

ولو في سبيل الحق حرصاً على هذه الحياة الخسيسة

وقد أوردت هذا الحديث في تفسير قوله تعالى (٦ : ٦٥ قل هو القادر

على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق

بعضكم بأس بعض) الآية وأوردت قبله حديث ثوبان الآخر الذي رواه

مسلم في صحيحه قال قال رسول الله (ص) « إن الله زوى لي الارض فرأيت

مشاركها ومغارها ، وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين

الاحمر والابيض ، واني سألت ربي لاني ان لا يهلككم بسنة عامة ، وأن لا

يساط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم (أي ملكهم

وسلطانهم ومستقر قوتهم) وان ربي قال لي : يا محمد إذا قضيت قضاءه فانه =

قلة العدد ، بل يكون عددهم كثيراً وإنما لا تغنيهم كثرتهم شيئاً ، لان
الكثرة بنفسها لا تغني ان لم تقترن بجودة النوع ، والسكينة لا تغني عن
اليكيفية ، وعلّة العلة في ضعف المسلمين ذلك اليوم هو الجبن والبخل ،
صريح ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « من حبكم الدنيا وكرهتكم الموت »
ومن المعلوم ان الافراط في حب الدنيا يحرم الانسان التمتع بها ،
وان الغلو في المحافظة على الحياة تكون عاقبته زيادة التعرض للهلاك ،
هذه من سنن الله في خلقه أو من النواميس الطبيعية كما يقال في هذا العصر
فأقرآن يأمر المسلم بأن يحتقر الحياة والمال وكل عزيز في سبيل
الله ويأمر المسلم أن يثبت ولا ييأس ، وأن يصبر ولا يتزلزل مهما أصيب

= لا يرد ، واني أنطيتك لامتك أن لأهلكهم بسنة عامة (أي تحط) وأن
لا أسلط عليهم عدو آمن سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم
من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً
ويسبي بعضهم بعضاً » ورواه أحمد وأصحاب السنن إلا النسائي بزيادة على
رواية مسلم هذه ، وكلا الحديثين من أعلام النبوة التي ظهر بها صدقه (ع)
بعد قرون من وفاته ورفع روحه إلى الرفيق الاعلى ، فما ذهب شيء من
ملك المسلمين إلى أيدي الاجانب إلا بخذلان بعضهم لبعض ومساعدتهم
الاجانب على أنفسهم ، وفي هذه الرسالة الامير شيكب بعض الشواهد من
مسلمي هذا العصر على ذلك . وراجع الموضوع بتفصيله في تفسير الآية المشار
اليها من ص ٤٩٠ - ٥٠١ ج ٧ تفسير

وتراه يقول : (وكأني من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) هكذا يريد الله ليكون المسلمون، فإن لم يكونوا هكذا بصريح نص القرآن، فكيف يستنجزون الله عداته بالنصر والتمكين، والسعادة والتأمين؟

ضباع الاسلام بين الجامدين والجاهدين

ومن أكبر عوامل انحطاط المساميين الجود على القديم، فكما ان آفة الاسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الاسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئاً، ولا ترضى بادخال أقل تعديل على أصول التعاليم الاسلامي ظناً منهم بأن الاقتداء بالكفار كفر، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار

فقد أضع الاسلام جاحد وجامد

أما الجاحد فهو الذي يأبى إلا أن يفرج المساميين وسائر الشرقيين، ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشخصاتهم، ويحملهم على انكار ماضيهم، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيداً فيذوب فيه ويفقد هويته. وهذا الميل في النفس الى

انكار الانسان لماضيه واعترافه بأن آباءه كانوا سافلين، وانه هو يريد أن يبرأ منهم، لا يصدر إلا عن الفسل الخسيس، الوضع النفس، أو عن الذي يشعر انه في وسط قومه ذي الأصل، فيسعى هو في انكار أصل أمته بأسرها لانه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الاصلة، وهو مخالف لسنن الكون الطبيعية التي جعلت في كل أمة ميلا طبيعياً للاحتفاظ بمقوماتها ومشخصاتها من لغة وعقيدة وعادة وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك.

محافظة الشعوب الافرنجية على قومياتها

فلننظر الى أوربة - لانها هي اليوم المثل الأعلى في ذلك - فنجد كل أمة فيها تأنى أن تندمج في أمة أخرى. فالانكليز يريدون أن يبقوا انكليزاً، والافرنسيس يريدون أن يبقوا إفرنسيسا، والالمان لا يريدون أن يكونوا إلا ألمانيا، والاطليان لا يرضون أن يكونوا إلا طلياناً، والروس قصارى همهم أن يكونوا روساً، وهلم جرا

ومما يزيد هذا المثل تأثيراً في النفس ان الايرلنديين مثلاً أمة صغيرة مجاورة للانكليز وقد بذل هؤلاء جميع ما يتصوره العقل من الجهود ليدمجهم في سوادهم مدة تزيد على سبعمائة سنة، فأبوا أن يصيروا انكليزاً وأبوا ايرلنديين بلسانهم وعقيدتهم وأذواقهم وعاداتهم

وفي فرانسة نفسها تأتي أمة « البريتون » الا أن تحافظ على أصلها . وفي جنوبي فرانسة جيل يقال لهم « الباشكنس » احتفظوا بقوميتهم تجاه القوط ، ثم تجاه العرب ، ثم تجاه الاسبان ، ثم تجاه الفرنسيس . وجميعهم مليون نسمة . وهم لايزالون على لغتهم وزيهم وعاداتهم وجميع اوضاعهم

والفلمنك يا بون أن يجملوا اللغة الافرنسية لغتهم ، والثقافة الافرنسية ثقافتهم ، ولم يزالوا يصيحون في بلجيكا حتى اضطرت دولة بلجيكا الى الاعتراف بلغتهم لغة رسمية .

وفي سويسرة ثلاثة أقسام : القسم الالماني وهو مليونان وثمانمائة الف ، والقسم المتكلم بالافرنسية وهو ثمانمائة الف ، والقسم المتكلم بالاطلمانية وهو أكثر قليلا من مائتي الف ، وكل قسم منها محافظ على لغته وقوانينه ومنازعه مع انهم كلهم متحدون في مصالحهم السياسية ويعيشون في مملكة واحدة

وان الدانمرك وبلاد الاسكندينايف وهولانده فروع من الشجرة الالمانية لامراء في ذلك ، لكنهم لا يريدون الاندماج في الالمان ولا العدول عن قومياتهم وبقى « التشيك » مئين من السنين تحت حكم الالمان وبقوا تشيكا ، واستأنفوا بعد الحرب العامة استقلالهم

السياسي ، بعد أن حفظوا لسانهم واستقلالهم الجنسي مدة خمسة قرون
وقد هذب الالمان أمة المجر وعلوهم ورقوهم ولكنهم لم يتمكنوا
من ادماجهم في الالمانية ، فتجدهم أحرص الامم على لغتهم المغولية الاصل
وعلى قوميتهم المجرية

ولبتت الروسية العظيمة من مائتين الى ثلاثمائة سنة تحاول ادخال
بولونية في الجنس الروسي وحمل البولونيين على نسيان قوميتهم الخاصة
بحجة ان العرق السلافي يجمع بين البولونيين والروس ، ففشات جميع
مساعيها في ادماج البولونيين فيها ، وعاد هؤلاء بعد الحرب العامة أمة مستقلة
في كل شيء . وذلك لانهم لم يتخلوا طرفة عين عن قوميتهم

وليس من العجب أن لا تريد أمة عددها ٣٠ مليوناً الاندماج
في غيرها . ولكن الاستونيين وهم مليونان فقط انفصلوا عن الروسية
ولم يقبلوا الاندماج فيها وأحيوا استقلالهم ولسانهم المغولي الاصل
وجعلوا له حروفهجاوية . ومثاهم أهالي فنلاندة المنفصلون عن الروسية
أيضا . وقد خابت مساعي الروس في ادماج اللتوانيين من هذه الامم
البلطيقية في الجنس الروسي ، وانتقضوا بعد الحرب العامة أمة مستقلة
كما كانوا مستقلين قوميا ، وجميعهم أربعة ملايين . وأقل منهم جيرانهم
اللتوانيون الذين هم مليونان لا غير ، ومع هذا قد انفصلوا بعد الحرب

وأسسوا جمهورية كسائر الجمهوريات البلطيقية لانهم من الاصل لبشوا
محافظين على لغتهم وجنسهم

وقد عجز الروس من جهة كما عجز الالمان من جهة أخرى عن
ادخال هذه الاقوام في تراكيهم القومية العظيمة لان كل شعب مها
كان صغيراً لا يرضى بانكار أصله ولا بالنزول عن استقلاله الجنسي
وقد حفظ الكرواتيون استقلالهم الجنسي مع احاطة أمتين كبيرتين
بهم هما اللاتين والجرمان

وحفظ الصربيون استقلالهم الجنسي مع سيادة الترك عليهم مدة قرون.
ولم يزل الارناؤوط أرناؤوطاً منذ عهد لا يعرف بدؤه وهم بين
أمتين كبيرتين اليونان والصقالبة أي السلاف

وكذلك البلغار أبوا إلا أن يبقوا بلغاراً فيما بين الروم والسلاف
واللاتين . ثم جاءهم الترك فتعلموا التركية لكنهم بقوا بلغاراً

ولا أريد ان أخرج في الاستشهاد عن أوربة لاني إن خرجت
عن أوربة قالت تلك الفئة الجاحدة : نحن لانريد أن نجعل قدوة لنا أمماً
متأخرة مثانا

فالام التي استشهدنا الآن بها كلها أوربية، وكلها متعلمة راقية ،
وكلها ذوات بلدان ممدنة منظمة ، وكلها عندها الجامعات والاكاديميات
والجمعيات العلمية والجيش والاساطيل الخ

العبرة للعرب وسائر المسلمين برقى اليابانيين

ولكنني أخرج من أوربة الى اليابان فقط لان رقي اليابان يضارع الرقي الاوربي وقد تم لليابانيين كما تم رقي أوربة للاوربيين أي في ضمن دائرة قوميتهم ولسانهم وآدابهم وحريةتهم ودينهم وشعائرهم ومشاعرهم وكل شيء لهم

فأنقل الى القراء العرب فقرة من رسالة طويلة جاءت من مراسل أوربي سألني في اليابان وظهرت في جريدة « جورنال دوجنيف » بتاريخ ٢٠ أكتوبر فانه يقول :

« ان الياباني يحب الفن قبل كل شيء ، وان رأيتة ساعياً في كسب المال فلاجل أن يلذذ بالمال أهواه المنصرفه إلى الحسن والجمال . وقد انتقش في صفحة نفسه الشعور القومي الشديد عند الميل الى الجمال ، لانه يفتخر بكون اليابان في مدة ستين سنة فقط صارت من طور أمة من القرون الوسطى اقطاعية الحكم الى أمة عظيمة من أعظم الامم ، ومما لا ريب فيه ان الديانة اليابانية هي ذات دور عظيم في سياسة اليابان (ليتأمل القاري) وهي في الحقيقة فلسفة مبنية على الاعتراف بكل ماتركه التقدما لسلائلهم . فالياباني المصري قد اثتلف مع جميع احتياجات بالحياة المصرية ، لكن مع حفظ الميل الدائم الى الرجوع إلى ماضيه ،

ومع التمسك الشديد بقوميته ، غير مجيب نداء التفرنج (وفي الاصل
التعرب Accidentalisme) الذي لا يريد الياباني أن يأخذ منه إلا ما هو
ضروري له لاجل مصارعة سائر الامم بنجاح ، ولا شك ان هذا
مثال فريد في تاريخ أُم الشرق الاقصى »
ثم يقول :

« كان اليابانيون يكرهون الاسفار الى البلدان البعيدة ، ويحظرون
دخول الاجانب في بلادهم ، ولكن هذا المنع قد ارتفع بعد النهضة
العصرية ، وتلافت اليابان مافات بشكل مدهش . والتأنج هي أممنا ،
إلا أن الماضي لا يزال عند اليابانيين مقدساً معظماً في جميع طبقاتهم لانه
في هذا الماضي المقدس يجد اليابانيون جميع شعورهم بقيمتهم الحاضرة ،
فتراهم يكافحون بوسائل المدينة الحديثة التامة التي لا سبيل الى الحياة
بدونها في أيامنا هذه ، لكن يبنذون كل « تعرب » بمجرد ما يجدون أنفسهم
في غنى عنه ، ويعودون مع اللذة الى شعورهم القومي الخالص الذي
به يعتقدون انهم الأعلون

« وهناك هيا كل « شينتو » ومعابد « زن » والهيا كل البوذية
وهي مكرمة معظمة مخدومة بأشد ما يمكن من الحاسة الدينية والايان
الثابت كما كانت منذ قرون . والحق ان هذا الاحترام الشديد الذي

يشعر به اليابانيون لتقدمهم ولعبوداتهم هو الذي قام عندهم حصنا منيعاً
دون المبادئ الشعبية، والافكار الشيوعية المضرة»

ومنذ بضع سنوات ظهر في فرنسا تاليف جديد عن اليابان للبركيز
«لامازاير» La Mazelière قد أطنبت الجرائد في وصفه ونشرت عنه
جريدة «الديبا» مقالاً رناناً، فنحن نوصي القراء الذين يهمهم أن يعرفوا
كيفية ارتقاء اليابان - وهو موضوع في غاية الجلالة لما فيه من الاستنتاج
لسائر بلاد الشرق - بمطالعة هذا الكتاب الذي لا يمكن أن ينسب الى
مؤلفه التعصب لليابان، على اني رايت في الجملة مطابقاً لتواريخ ألفها
علماء يابانيون متخصصون في التاريخ. وهذه التواريخ مترجمة من اليابانية
الى الافرنسية. ولا بد لي في هذه العجالة من نقل بعض فقر من تاريخ
لامازاير المذكور، قال في اثناء الكلام على تمدن اليابان العصري
وخروج هذه الامة من عزلتها القديمة مايلي :

« بدأت اليابان تستعير من أوربية وأمريكا قسماً من مدينتيهما المادية،
ومن نظامها العسكري، ومن مباحث تعليمهما العام، ومن سياستهما
المالية، فكان المجددون يجتهدون في أن يتبسوا من كل شعب ما يرونه
الاحسن عنده، فكان ذلك مشروع تجديد وهدم واعادة بناء،
وظهرت آثار ذلك في جميع مناحي الحياة اليابانية »

ثم تسكلم عن الحرب اليابانية الصينية ، وانتهى إلى قوله الذي نترجمه
ترجمة حرفية :

« إن ظفر اليابان بالصين لم يثبت علو الافكار والمبادئ العلمية
التي أخذتها اليابان عن الغرب وكفى ، بل أثبت أمراً آخر وهو أن شعباً
آسيوياً بمجرد ارادته وعزيمته عرف أن يختار مارآه الاصلح له من
مدنية الغرب (تأمل جيداً) مع الاحتفاظ باسمة لاه و قوميته وعقليته
وآدابه وثقافته » اه

وقبلا كنت نشرت في الجرائد — وما نشرته لم يكن إلا نقطة من
غدير — خلاصة الحفلات التي أقامها اليابانيون لتتويج عاهلهم منذ
سنتين وكيف استمرت مراسم هذا الاحتفال مدة شهر ، وكانت باجمعها
دينية ، وكيف ان الميكادو هو كاهن الامة الاعظم ، وكيف انه من
سلالة الالهة « الشمس » وكيف اغتسل في الحمام المقدس المحفوظ من
ألفي سنة ، وكيف أكل مع الالهة ! الارز المقدس الذي زرعه الدولة
تحت اشراف الكهنة حتى يكون تام القدسية لاشبهة فيه ، وكيف كان
ثمة في الحفل ستمائة ألف ياباني وكلهم يهتفون : ليحي الميكادو عشرة
آلاف سنة إلى غير ذلك

لماذا تسمى اليابان وأوربة رجعية بتريزما

فلماذا ياليت شعري تتقدم اليابان هذا التقدم السريع المدهش وتصير هذه الامة العصرية يضرب برقيها المثل وهي تضرب باعرا قهـا إلى عقائد وعادات ومنازع مضى عليها ألفا سنة، ويكون امبراطورها هو كاهنها الاعظم، ولا يقال عنها «رجعية» و «مرتجعة» و «ارتجاعية»؟ (فان كانت اليابان رجعية فرحى بالرجعية)

ولماذا كان ملك انكلترة وامبراطور الهند السيد على ٤٠٠ مليون آدمي في الارض من البيض والسمر والصففر والحمر والسود هو رئيس الكنيسة الانكليكانية ومجالسه النيابية تبحث في جلسات عديدة في قضية الخبز والخمر هل يستحيلان بمجرد تقديس القسيس الى جسد المسيح ودمه فعلا بدون أدنى شك أم ذلك من قبيل الرمز والتمثيل؟ ولا يقال عنه انه «رجعي» ولا يقال عن دوائه العظمى انها «متأخرة» او «متقهرة»؟ فان كانت انكلترة بعد هذا متقهرة فيا حبذا «التهتمرا»

ولماذا كانت القارة الاوربية كلها مسيحية مفتخرة بمسيحياتها تنباهي بذلك في كل فرصة متحدة في هذا الامر على ما بينهما من عداوات ومنافسات، ولا تنبذها بقولنا «رجعية» و «ارتجاعية» والحال ان الديانة التي تدن بها أوربة عمرها ١٩ قرنا . وهذا عهد يصح أن يقال عنه قديم «وقديم

جداً» وهؤلاء اليهود، مهما ننكر عليهم فلا تقدر أن ننكر عليهم المقدرة
والذكاء والحس العملي والجد الهائل - لا يزالون يفخرون بتوراة وجدت
منذ آلاف السنين ويشاركون فيها المسيحيون؟

ولماذا ترى أعظم شبان اليهود رقيماً عصرياً يجاهدون في إحياء
اللغة العبرية التي لا يعرف تاريخها لتوغلها في القدم . ولا يقال عنهم أنهم
« رجعيون » و « متأخرون » و « قهقريون » ؟

« وقد نشر وايزمان رئيس الجمعية الصهيونية حديثاً في جريدة
« الماتن » كان من أهم ماخر به وأدلى به ككثرة ينبغي أن تذكرها لهم الانسانية
هو « ان فلسطين الحديثة تتكلم اليوم باجمعها باعاة الانبياء » يريد بفلسطين
الحديثة فلسطين اليهودية التي قد نشر الصهيوينيون فيها اللغة العبرانية
القديمية وأجبروا نشئهم الجديد على أن يتحدثوا بها لتكون اللغة الجامعة
للإهود . ومن الذي فعل هذا ؟ الجواب : هم اليهود العصريون الأشد
أخذاً بمبادئ العلم الحديث والحضارة العصرية . (وما يذكر إلا أولو
الالباب) وماذا عساني أحصي من هذه الامائيل والعبر في رسالة
وجيزة كهذه ؟

كل قوم يعصمون بدينهم ومقومات ملتهم ومشخصات قومهم
الموروثتين ولا ينتزون بهذه الالتاب !! الا المسلمين

فانه اذا دعاهم داع الى الاستمساك بقرآتهم وعقيدتهم ومقوماتهم
ومشخصاتهم وباللسان العربي وآدابه والحياة الشرقية ومناحيها قامت
قيامه الذين في قلوبهم مرض .. وصاحوا : لتسقط الرجعية . وقالوا :
كيف تريدون الرقي وأنتم متمسكون باوضاع بالية باقية من القرون الوسطى
ونحن في عصر جديد ؟

جميع هؤلاء الخلائق تعلموا وتقدموا وترقوا وعلموا وطاروا في السماء
والمسيحي منهم باق على انجيله وتقاليد الكنسية ، واليهودي باق على
توراته وتلموده ، والياباني باق على وثنه وارزه المقدس ، وكل حزب منهم
فرح بمالديه . وهذا المسلم المسكين يستحيل أن يترقى إلا إذ ارى قرآنه
وعقيدته وما أخذه ومشاركه ومنازعه ومشاربه ولباسه وفراشه وطعامه
وشرابه وأدبه وطربه وغير ذلك وانفصل من كل تاريخه ، فان لم يفعل
ذلك فلا حظ له من الرقي !

فهذا ما كان من ضرر الجاحد الذي يقصد السوء بالاسلام وبالشرق
أجمع ويخدع السذج باقوابله

بعض النسخة
التي في نسخة
التي في نسخة
التي في نسخة

غوائل الجاهدين في الاسلام والمسلمين

وبقي علينا المسلم الجاهل، الذي ليس باخف ضرراً من الجاحد، وان كان لا يشركه في الحُبث وسوء النية، وانما يعمل ما يعمل عن جهل وتعصب فالجاهل هو الذي مهد لاعداء المدينة الاسلامية الطريق لمحاربة هذه المدينة محتجين بان التأخر الذي عليه العالم الاسلامي انما هو ثمرة تعاليمه والجاهل هو سبب الفقر الذي ابتلي به المسلمون لانه جعل الاسلام دين آخرة فقط . والحال ان الاسلام هو دين دنيا وآخرة . وان هذه مزية له على سائر الاديان . فلا حصر كسب الانسان فيما يعود للحياة التي وراء هذه كما هي ديانات أهل الهند والصين ، ولا زهده في مال الدنيا ومذمكها ومجدها كعالم الانجيل، ولا حصر سعيه في أمور هذه المعيشة الدنيوية كما هي مدينة أوربة الحاضرة

والجاهل هو الذي شهر الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعاتها بحجة انها من علوم الكفار . فحرم الاسلام ثمرات هذه العلوم ، وأورث أبناءه الفقر الذي هم فيه وقص أجنحتهم . فان العلوم الطبيعية هي العلوم الباحثة في الارض . والارض لا تخرج أفلاذها الا لمن يبحث فيها^(١) فان كنا طول العمر لا نتكلم الا فيما هو عائد

«١» كان جدي الادنى رحمه الله تعالى يقول : ان جار عليك الزمان

فعليك ان تجور على الارض . أي تلح وتجتهد في استخراج خيراتها

للاخرة قالت لنا الارض : اذهبوا توالاً إلى الآخرة فليس لكم نصيب
مني . ثم اننا بمحصر كل مجهوداتنا في هذه العلوم والمحاضرات الاخروية
جعلنا أنفسنا بمرکز ضعيف بازاء سائر الامم التي توجهت الى الارض ،
وهؤلاء لم يزالوا يعملون في الارض ونحن ننحط في الارض ، إلى أن
صار الامر كله في يدهم ، وصاروا يقدرّون أن يأفكونا عن نفس ديننا ،
فضلا عن أن يملكوا علينا دنيانا . وليس هذا هو الذي يريد الله بنا وهو
الذي قال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض) الآية وقال (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) وقال (قل من
حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا
في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) وقال فيما حكاها وأقره (ولاتنس نصيبك من
الدنيا) وعلمنا أن ندعوه بقوله (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) الخ
والمسلم الجامد لا يدري انه بهذا المشرب يسعى في بوار ملته
وحطها عن درجة الامم الاخرى ، ولا يتنبه لشيء من المصائب التي جرّها
على قومه اهما لهم للعلوم الكونية حتى أصبحوا بهذا الفقر الذي هم فيه ،
وصاروا عيالا على أعدائهم الذين لا يرقبون فيهم إلاّ ولا ذمة ، فهو اذا
نظر الى هذه الحالة عللها بالقضاء والقدر باديء الرأي ، وهذا شأن جميع
الكسالى في الدنيا يحيلون على الاقدار .

هذا الخلق هو الذي حبب الكسل الى كثير من المسلمين فنجمت
فيهم فئة يلتبون « بالدراویش » ليس لهم شغل ولا عمل ، وليسوا في
الواقع إلا أعضاء شلاء في جسم المجتمع الاسلامي .
وهذا الخلق بعينه هو الذي جعل الافرنج يقولون ان الاسلام جبري
لا يأمر بالعمل ، لان ما هو كائن هو كائن ، عمل الخلق أم لم يعمل .

آيات العمل المبطله لتفسير القرر بالجبر والكسل

ولا شيء أدل على فساد هذا الزعم الا فرنجي من القرآن الملائن بالحث
على العمل وباستنهاض الهمم ، وابتعاث العزائم ، ونوط الثواب والعقاب
والفوز والفشل بالعمل الذي يعمله المكلف . قال الله تعالى (وقل اعملوا
فسيري الله عملكم ورسوله) وقال تعالى (وإن جادلوك فقل لبي عملي ولكم
عملكم) وقال تعالى (وسيري الله عملكم) وقال تعالى (ولنا أعمالنا ولكم
أعمالكم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
ولا تبطلوا أعمالكم) وقال تعالى (والله معكم ولن يتركم أعمالكم) أي
لا ينقصكم أعمالكم ، وقال تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتمكم من
أعمالكم شيئاً) لا يلتمكم من لاته يليتته أو ولته يليتته بمعنى تقصه ، أي
لا يبخسكم من أعمالكم شيئاً ، وقال تعالى (نوف اليهم أعمالهم فيها وهم

فيها لا يبخسون) وقال عز وجل (وإن كلالا ليوفيهم ربك أعمالهم)
وقال عز وجل (وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) وقال عز وجل
(اني لا اضيع عمل عامل منكم) وقال عز وجل (فنعم اجر العاملين)
وقال عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقال عز وجل (اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال عز وجل (وتوفى كل نفس
ما عملت) وقال عز وجل (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن
فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وقال
عز وجل (يوم تجمد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من
سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) وقال عز وجل (ووفيت كل نفس
ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) وقال عز وجل (فأصابهم سيئات ما عملوا)
وقال تبارك وتعالى (ووجدوا ما عملوا حاضراً) وقال تبارك وتعالى (لينذيقهم
بعض الذي عملوا) وقال تبارك وتعالى (إلا من آمن وعمل صالحاً فإوئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا) وقال تعالى (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم
أعمالهم وهم لا يظلمون) وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن
يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقال تعالى (سميع جزون ما كانوا يعملون) وقال
تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون)
الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى من الآيات التي امتلأ بها القرآن ، ومنها ما هو

فص في مسألتنا كقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله
(أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)
ان صاحب السؤال يعلم وأكثر المسلمين لا يعلمون ان هذه الآية
خاطب الله تعالى بها أكل هذه الأمة ايماناً واسلاماً وهم أصحاب رسول
الله ﷺ إذ تعجبوا من ظهور المشركين عليهم في غزوة أحد فرد الله
عليهم ببيان السبب وهو مخالفتهم أمره ﷺ للرماة الذين يحمون
ظهور المقاتلة بالألأ يبرحوا أما كنتهم سواء كان القلب للمسلمين أو عليهم،
فلما انهزم المشركون خالفوا الامر لمشاركة المقاتلين في الغنيمة فمكر عليهم
المشركون حتى شج رأس النبي ﷺ الخ

وكلها ناطقة بأن الاسلام هو دين العمل لا دين الكسل، ولا هو دين
الانتكال على انقدر المجهول للبشر، كما يقول الدراويش البطالون: رزقنا على
الله عملنا أم لم نعمل، او كما يزين للناس بعض مؤلفي الافرنج من ان دين
الاسلام دين جمود وتفويض وتسليم، وان تأخر المسلمين انما نشأ عن ذلك.
ولو كان في هذه الدعوى ذرة ما من الصحة لما نهض الصحابة أخبر
الناس بالاسلام وفتحوا نصف كرة الارض في خمسين سنة، ولكن
التسليم الذي يتكلمون عنه ويهرفون فيه بما لا يعرفون انما هو مقرون بالعمل
وبالكسح وبالسعي، والا فلا يسمى تسليماً بل يسمى جموداً، ويعد

«بطالة وهو مخالف للقرآن والسنة . وأما إذا كان التسليم لله مقرونا بالعمل فإنه أنفع في الدنيا والآخرى ، لأن افراط المرء في الاعتماد على نفسه يورطه في البطر إذا نجح ، وفي الجزع إذا فشل . والذي يريده الاسلام انما هو أن يعقل الانسان ويتوكل (١) وأن يدبر لنفسه بهداية عقله الذي جعله الله مرشداً ، ويعلم مع ذلك ان ليس كل الامر بيده ، وان من الاقدار ما لا تدركه الافكار . وهذا صحيح ، ولما ذكر النبي ﷺ التقدر سأله بعض أصحابه ألا نتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »
رواه البخاري ومسلم

ومن أغرب الغرائب أن هؤلاء الافرنج الذين لا يفتنون ينعنون الاسلام بالجبرية وينسبون تأخر المسلمين إلى هذه العقيدة — التي كان يقول بها فئة قليلة من المسلمين — يذهلون عما هو وارد في الانجيل من آيات القضاء والقدر التي تماثل ما في القرآن وقد يزيد عليه مثل قوله :

« ١ » في قوله يعقل هنا تورية لاحتماله معنيين : ظاهرهما تحكيم ادراك العقل في الامور مع التوكل على الله ، والثاني عقل الناقاة المراد به الاخذ بالاسباب مع التوكل ، اذ فيه اشارة الى حديث الاعرابي المشهور بين الناس حتى صار مثلاً « اعقلها وتوكل » وفي رواية « قيدها وتوكل » يعني ناقته فلم يأذن له (ص) ان يتركها توكلها

لاتسقط شعرة من رؤوسكم إلا باذن أبيكم السماوي . ومثل آي كثيرة لو أردت استقصاءها لطال المقال . ولا نجد في الأفرنج الذين هم مغرمون بالعمل وهاتمون وراء الكسب ومنكرون للقضاء والقدر في الجملة ، إلا من يقرأ الإنجيل الشريف ويقدهسه ويعجب بمبادئه السامية كما نعجب بها نحن . فما بلهم نسوا ما فيه من آيات القضاء والقدر ؟ وما بلهم لم يصفوا أقوال المسيح صلوات الله عليه بالجبرية ؟ (يخلونه عاما ويحرمونه عاما) وحقيقة الأمر أن كل ما هو وارد في الإنجيل وكل ما هو وارد في القرآن من آيات القضاء والقدر إنما كان مقصوداً به سبق علم الله بكل ما يقع (١) . ولم يكن مقصوداً به نفي الاختيار والتزهد في الكسب .

« ١ » هذا التفسير قول بعض المتكلمين وهو أن تعلق علم الله بوجود الخلق في الأزل هو القضاء ووجودها على وفق العلم هو القدر ، وقال بعضهم انه تعلق الإرادة الخ والتحقق ان القدر والمقدار هو النظام الذي جرت به سنن الله تعالى في التكوين والتدبير والاسباب والمسببات كما يفهم من نصوص الآيات كقوله تعالى « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » وقوله « وأنزلنا من السماء ماء بقدر » الآية . وقوله في نظام جمل النطفة في الرحم « الى قدر معلوم » وقوله « ثم جئت على قدر يا موسى » وقد حققنا المسألة في المنار والتفسير مرارا

وفي حديث الوزنتين والوزنات وغير ذلك من مواضع الإنجيل الشريف ما يدل على ما عزاه القرآن الى صحف ابراهيم وموسى أي وغيرهما من رسل الله (أن لاتزر وازرة وزر أخرى* وأن ليس للانسان إلا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

كون المسلمين الجامدين فتنه لأعداء الاسلام ووحجة عليه

ونعود الى المسلم الجامد فنقول : انه هو الذي طرق لاعداء الاسلام على الاسلام، وأوجد لهم السبيل الى القالة بحقه ، حتى قالوا انه دين لا يأتلف مع الرقي العصري ، وانه دين حائل دون المدنية . والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لا تأتلف عقائدهم مع المدنية ، وهم الذين يحولون دون الرقي العصري . والاسلام براء من جماداتهم هذه .

ان الاسلام هو من أصله ثورة على القديم الفاسد ، وجب للماضي القبيح ، وقطع مع كل العلائق غير الحقائق ، فكيف يكون الاسلام ملة الجود ؟ والقرآن هو الذي جاء فيه من قصة ابراهيم عليه السلام (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) وجاء فيه (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين * قال هل يسمعونكم

إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون * فانهم عدولي إلا رب العالمين) وجاء فيه : (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون * قال او لو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) وجاء فيه (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وجاء فيه : (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قل الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وغير ذلك من الآيات الداعية الى الثورة على التقديم إذا لم يكن صحيحاً ولم يكن صالحاً على ان الذين يفهمون الاسلام حق الفهم يرحبون بكل جديد لا يعارض العقيدة ، ولا تخشى منه مفسدة . ولا أظن شيئاً يفيد المجتمع الاسلامي يكون مخالفاً للدين المبني على اسعاد العباد . أفلا ترى علماء نجد وهم ابعد المسلمين عن الافرنج والتفرنج ، وأنا هم عن مرا كز الاختراعات العصرية ، كيف كان جوابهم عند ما استفتاهم الملك عبد العزيز بن سعود أبده الله في قضية اللاسلكي والتليفون والسيارة الكهربية ؟ أجابوه انها محدثات نافعة مفيدة ، وانه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله لا بالمنطوق ولا بالمفهوم ما يمنعها .

أفليس الأدنى لمصلحة الأمة أن تقدر الدولة على معرفة أي حادث يحدث بمجرد وقوعه حتى تتلافى أمره ؟ أفليس الانفع للمسلمين أن يتمكن الحاج بيضع ساعات من اجتمياز المسافات التي كانت تأخذ أياما وليالي ؟ لقد سألت الشيخ محمد بن علي بن تركي من العلماء النجديين الذين بمكة عن رأيه في التليفون والاساسكي فقال لي : هذه مسألة مفروغ منها ، وأمر جوازها شرعا هو من الوضوح بحيث لا يستحق الاخذ والرد

ولم تكن مقاومة الجديد خاصة بجامدي الاسلام ، فقد قاومت الكنيسة في النصرانية كل جديد تقريبا من قول أو عمل ، ثم عادت فيما بعد فأجازته . ولما قال «غاليه» بدوران الارض كفرته ، ولا يزال يوجد الى اليوم من أحبار النصارى من يكفر كل مخالف لما جاء في التوراة من كيفية التكوين ، ومن سنتين حوكم أحد المعلمين في محاكم إحدى الولايات المتحدة لقوله بنظرية داروين ومنع من التدريس ، ولكن هذا لم يمنع سير العلم في طريقه (١)

فالنصارى عندهم جامدون كما عندنا جامدون ، والمسلم الجامد

«١» وقد تأم في انكلترة وامريكة حزب ديني جديد أو جمعية للدعوة الى الايمان بظواهر التوراة في الخلق والتكوين وكل شيء من غير تأويل (راجع ص ٧٢٣ م ٣٠ من المنار)

يحارب كل علم غير العلم الديني التقليدي الذي ألفه ، حتى انه ليحارب
من لا يعتمد في دينه إلا بالكتاب والسنة ، وينسى ان العلوم الطبيعية
والرياضية والهندسة وجراالاتقال والفلك والطب والكيمياء وطبقات
الأرض وكل علم يفيد الاجتماع البشري هي علوم دينية ان لم تكن
مباشرة فمن حيث النتيجة (١) وكم جرى تدريس هذه العلوم في
الازهر والاموي والزيتونة والقرويين وقرطبة وبعدادوسمرقند وغيرها
عند ما كان للاسلام دول كبار وأعظم رجال . وكم نبغ في الاسلام من عطاء
جمعوا بين الحكمة والشريعة ، ونظموا بين الحديث والرياضة ، وإن
أكبر فيلسوف عربي اشتهر اسمه في أوربة هو القاضي ابن رشد وقد
كان من أكابر الفقهاء

« ١ » اي من باب قول العلماء : ما لا يتم الواجب المطابق الا به فهو
واجب . وقد بينا في تفسير (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ان آلات
القتال البرية والبحرية والجوية واجبة بنص هذه الآية لانها من القوة
المستطاعة للمسلمين كما هي مستطاعة لغيرهم ، فليس وجوبها بقاعدة ما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب بل بنص القرآن ودلالة المنطوق منه فراجع
تفسيرها في ص ٦٦ ج ١٠ تفسير

مدنية الاسلام

أما زعم من زعم أن الاسلام لم يتمكن من تأسيس مدنية خاصة والاستدلال على ذلك بحالته الحاضرة، فهو خرافة يموه بها بعض أعداء الاسلام من الخارج، وبعض جاحديه من الداخل. أما القسم الاول فلاجل أن يصبغوا المسلمين بالصبغة الاوربية، وأما القسم الثاني فلاجل أن يزرعوا في العالم الاسلامي بذور الالحاد، ونحن لاننكر تأثير الدين في المدنية ولكننا لانسلم بأنه يصح أن يكون لها ميزانا، وذلك لانه كثيراً ما يضعف تأثير الدين في الامم فتتفقت من قيوده وتفسد أخلاقها وتمهار أوضاعها، فيكون فساد الاخلاق هو علة السقوط، ولا يكون الدين هو المسؤول؛ وكثيراً ما نطراً عوامل خارجية غير منتظرة فتتغلب على ما أثلته الشرائع من حضارة وتزلزل أركانها، وقد تهدمها من بوانها، ولا يكون القصور من الشريعة. فتأخر المسلمين في القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة بل من الجهل بالشريعة، أو من عدم اجراء احكامها كما ينبغي. واما كانت الشريعة جارية على حقها كان الاسلام عظيماً عزيزاً ومدنية الاسلام قضية لا تقبل المماحكة إذ ليس من أمة في اوربة سوا الألمان أو الفرنسيين أو الانكليز أو الظليان الخ إلا وعندهم تأليف

لا تحصى في « مدينة الاسلام » فلو لم تسكن للاسلام مدينة حقيقية سامية راقية مطبوعة بطابعه ، مبنية على كتابه وسنته ، ما كان علماء أوربة حتى الذين عرفوا منهمم بالتعامل على الاسلام يكثر من ذكر المدينة الاسلامية ومن سرد تواريخها ، ومن المقابلة بينها وبين غيرها من المدن ، ومن تبين الخصائص التي انفردت هي بها .

فالمدينة الاسلامية هي من المدن الشهيرة التي يزدان بها التاريخ العام ، والتي تغص سجالاته الخالدة بتاريخها الباهرة . وقد بلغت بغداد في دور المنصور والرشيد والمأمون من احتفال العمارة ، واستبحار الحضارة ، وتناهي الترف والثروة ، ما لم تبلغه مدينة قبلها ولا بعدها الى هذا العصر ، حتى كان أهلها يبلغون مليونين ونصف مليون من السكان . وكانت البصرة في الدرجة الثانية عنها ، وكان أهلها نحو نصف مليون .

وكانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند واصفهان وحواضر أخرى كثيرة من بلاد الاسلام أمثلة تامة ، واقيسة بعيدة في استبحار العمران ، وتناول البنيان ، ورفاهة السكان ، وانتشار العلم والعرفان ، وتأثر الفنون المتهدلة الافنان ،

وكانت القيروان وفاس وتلمسان ومراكش في المغرب أعظم وأعلى من ان يطاولها مطاول ، أو يناظرها مناظر ، أو ان يكثرها مكاثر في

ممالك أوربة حتى هذه القرون الاخيرة .
و كانت قرطبة مدينة فذة في أوربة لا يدانيها مدان ، وكان عدد
سكانها نحو مليون ونصف نسمة ، وكان فيها نحو سبعمائة جامع عدا
المسجد الاعظم الذي لما زرته في هذا الصيف قال لي المهندس الذي
كان معي من قبل الحكومة الاسبانيولية : إنه يسع بحسب مساحته خمسين
الف مصل في الداخل و ٣٠ الف مصل في الصحن ، فجملة من يسعهم
هذا المسجد العجيب ثمانون الفاً من المصلين .

ولما ذهبنا إلى آثار قصر الزهراء رأيناها آثار مدينة لا آثار قصر
واحد ، و علمنا أنها تمتد على مسافة تسعمائة متر طولاً في ثمانمائة متر عرضاً ،
والاسبانيول يقولون : مدينة الزهراء . وقل لي المهندسون الموكلون
بالحفر على آثارها : إنهم يرجون الاتيان على كشفها كلها من الآن إلى
خمسین سنة . و حسبك ان غرناطة التي كانت حاضرة مملكة صغيرة في
آخر أمر المسلمين بالانداس لم يكن في أوربة في القرن الخامس عشر
المسيحي بلاءة تضاهيها ولا تنافسها ، وكان فيها عندما سقطت في ايدي
الاسبانيول نصف مليون نسمة . ولم يكن وقتئذ عاصمة من عواصم أوربة .
تحتوي نصف هذا العدد ، وحمراء غرناطة لا تزال بقيمة الدهر إلى اليوم
هذه لمحة دالة من مآثر حضارة الاسلام وغرر أيامه ، وإلا فلو

استقصينا كل ما أثار المسلمون في الأرض من رائع وبديع لم تسع ذلك
الجلود الكثيرة ، المرصوفة طبقا فوق طبق

وكم حرر المؤرخون الاوربيون تحت عنوان « مدينة الاسلام »
كتبا قيمة ومجاميع صور تأخذ بالابصار . وإن أشد مؤرخي الافرنجة
تحملا على الاسلام لا يتعدى ان يحاول التصغير من شأن مدينته ،
وان ينكر كونه ابا عذرتها . فقصارى هذه المئة ان ينكروا كون المسلمين
قد ابتكروا علوما وسبقوا إلى نظريات صارت خاصة بهم ، وغايتهم
ان يقولوا ان المسلمين لم يزيدوا على ان نقلوا واذاعوا وكانوا واسطة
بين المشرق والمغرب . وهذا القول مردود عند المحققين الذين يعرفون
للمسلمين علوما ابتكروها ، وحقائق كشفوها ، وآراء سبقوا اليها ،
فضلا عما زادوا عليه وأكملوه ، وما نشره ونقلوه ، ومن استرق شيئا
وقد استرقه ، فقد استحقه .

وبعد فلم نعلم مدينة واحدة من مدنات الأرض إلا وهي رشح
مدنيات سابقة ، وآثار آراء اشتركت بها سلائل البشرية ، ومجموع
نتائج عقول مختلفة الاصول ، ومحصول ثمرات ألباب متباينة الاجناس

الرد على حساد المذنبية الإسلامية المطربة

أينسى حساد الاسلام والمكابرون في عظمة فضله ، الزاعمون انه
انما نقل وتعلم وقلد واقتدى وانه انما على وراء غيره: أن المدينة الشرقية
يوم ظهر الاسلام كان أخنى عليها الذي أخنى على لبد ، وانه هو الذي
جددها وأحيا آثارها ، وأقال عثارها ؟ وأنها بعد ان كانت قد ااحت
ولحمت بالغايرين ، أبرزها من اصداقها ، وجلاها من بعد ان كانت
ملفوفة بغلافها ، ونشرها في الخاقين ، وبلّجها كفلق الصباح لكل ذي
عينين ، وأضفى عليها لباس الاسلام الخاص ، ودبجها بديباجة القرآن ،
التي لم تفارقها في شرق ولا غرب ، ولا سهل ولا وعر ، حتى حمل ذلك
كثيراً من علماء الافرنج ممن لم يعمه الهوى ، ولم يجد في التحقيق عن
مهبع الهدى ، على ان اعترفوا بان مدينة الاسلام لم تكن نسخاً ولا نقلاً ،
وانما هي قد نبتت من القرآن ، وتفجرت من عقيدة التوحيد ؟

فأما ما ترجمته حضارة الاسلام من كتب ، وما أخذته عن غيرها
من علوم ، وما أفادته في فتوحاتها من منازع جميلة ، وطرائق سديدة ،
فلا يقدر ذلك في بركاتها الإسلامية ، ومسحتها العربية ، لان هذا

شأن الحضارات البشرية بجمعها أن يأخذ بعضها عن بعض ويكمل بعضها
بعضاً ، فالعلم الحقيقي ينحصر في هذا الحديث الشريف « الحكمة ضالة
المؤمن ينشدها ولو في الصين » (١) وهذه من أقدس قواعد الاسلام
وعلى كل حال لا يقدر مكابر أن يكابر ان الاسلام كان له دور
عظيم في الدنيا سواء في الفتوحات الروحية أو العقلية أو المادية ، وان
هذه الفتوحات قد اتسقت له في دور لا يزيد على ثمانين سنة ، مما أجمع
الناس على انه لم يتسق لأمة قبله أصلاً . وكان نابليون الاول لشدة
دهشته من تاريخ الاسلام يقول في جزيرة سنتميلانة : ان العرب فتحوا
الدنيا في نصف قرن لا غيره

وتأمل أيها القاريء في ان قائل هذا القول هو بونابرت الذي لم
تكن تملأ عينه الفتوحات مهما كانت عظيمة

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظام
فهذا رجل عظيم جداً استهفم حادث العرب الذي لم يسبق نظيره

(١) هذا مضمون حديثين أحدهما « الحكمة ضالة المؤمن فحيث
وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ، ورواه
غيره بمناء مع اختلاف في اللفظ . والثاني « اطبوا العلم ولو بالصين »
وذكره الكتاب في موضع آخر وهناك تذكر من خرجه

في التاريخ ، وقد بقي دور العرب هو الاول في وقته، ولبثوا وهم المسيطرون في الارض ، لا يضار عنهم مضارع ، ولا يغالبهم مغالب ، مدة ثلاثة قرون او اربعة . ثم أخذوا بالانحطاط، وجعلت ظلالهم تتقلص عن البلدان التي كانوا غلبوا عليها شيئاً فشيئاً، وذلك بفتور الهمم ، وديب الفساد إلى الاخلاق ، ونبذ عزائم الدين ، واتباع شهوات الانفس ، وأشد ما ابتلوا به التنافس على الامارات والرتاسات ، - ولا سيما بين القيسية واليمانية - مما لولا لدانت لهم القارة الاوربية باجمعها ، وكانت الآن عربية كما هو المغرب . فالمصائب التي حلت بالمسلمين انما هي مما صنعتها أيديهم ، ومما حادوا به عن النهج السوي الذي أوضحه لهم القرآن الذي لما كانوا عاملين بمحكم آية علواً وظهروا وكانت لهم الدول والطوائل ، فلما ضعف عملهم به وصاروا يقرءونه بدون عمل، وانقادوا إلى اهواء أنفسهم من دونه ، ذهبت ريحهم ، وولى السلطان الاكبر الذي كان لهم، وانتقصت الاعداء أطراف بلادهم، ثم قصدوا إلى أوساطها ولنضرب الآن بعض أمثلة عن الامم الاخرى لاجل المقابلة بيننا وبينهم إذ كانت بضدها تدبين الاشياء



اليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها

كان اليونانيون قبل النصرانية أرقى أمم الارض أو من أرقى أمم الارض ، وكانوا واضعي أسس الفلسفة ، وحاملي ألوية الاداب والمعارف ، ونبغ منهم من لا يزالون مصابيح البشرية في العلم والفلسفة الى يوم الناس هذا .

وكان الاسكندر المكدوني أعظم فاتح عرفه التاريخ او من أعظم الفاتحين الذين عرفهم التاريخ ، حاملا للادب اليوناني ، ناشراً لثقافة يونان بين الامم التي غلب عليها . وما كانت دولة البطالسة التي لمعت في الاسكندرية بعلمها وفلسفتها إلا من بقايا فتوح الاسكندر . ثم لم تنزل هذه الحالة إلى أن تنصرت يونان بعد ظهور الدين المسيحي بقليل ، فذانت هذه الامة بالدين الجديد بدأت بالتردي والانحطاط ، وفقد مزايها القديمة ، ولم تنحط قرنان عن قرن ، وتدهور بطننا عن بطن ، إلى أن صارت بلاد اليونان ولاية من جملة ولايات السلطنة العثمانية . ولم تعد إلى شيء من النهوض والرقى إلا في القرن الماضي ، وأين هي مع ذلك الآن مما كانت قبل النصرانية ؟

أفيجب ان نقول ان النصرانية كانت المسؤولة عن انحطاط يونان هذا ؟

ان القائلين بان الاسلام قد كان سبب انحطاط الامم الدائمة به
لامفر لهم من القول بأن النصرانية قد أدت أيضا الى انحطاط يونان التي
كانت من قبلها عنوان الرقي
ثم كانت رومية في عصرها الدولة العظمى التي لا يذكر معاهدة دولة،
ولا يؤبه في جانب صولتها اصولة ، ولم تزل هكذا هي المسيطرة على
المعور الى أن تنصرت لعهد قسطنطين . فمنذ ذلك العهد بدأت بالانحطاط
مادة ومعنى ، الى أن انقرضت اولاً من الغرب ، وثانياً من الشرق . ولم
تسترجع رومية بعد انقراض الدولة الرومانية شيئاً من مكانتها الاولى ،
وبقيت على ذلك مدة ١٥ قرناً حتى استأنفت شيئاً من مجدها الغابر .
وما هي إلى هذه الساعة ببلاغة ذلك الشأو الذي بلغته أيام الوثنية
أفنجعل تنصر الرومان هو العامل في انحطاط رومة وتدحرجها
عن قمة تلك العظمة الشاهقة؟ لقد قال بهذا علماء كثيرون كما قال آخرون
مثل هذه المقالة في الاسلام ، وكلا الفريقين جائر حائد عن الصواب
فان اسقوط الرومان بعد فشو الدين المسيحي فيهم واسقوط
اليونان من قبلهم بعد ان تقبلوا دعوة بولس الى النصرانية اسباباً وعوامل
كثيرة من فساد الاخلاق ، وانحطاط المهتم ، وانتشار الخنى والخلاعة ،
وشيوخ الاحاد والاباحة ، ومن هرم الدول الذي يتكلم عنه ابن خلدون ،

وغير ذلك من أسباب السقوط الداخلية منضمة اليها غارات البرابرة من
الخارج ، فكانت ثمة أسباب قاسرة مؤدية إلى السقوط الذي كان
لا بد منه ، فلو فرضنا ان النصرانية لم تكن جاءت وقتئذ لم يكن الرومان
ولا اليونان نجوا من عواقب تلك الحوادث ولا تخطتهم نتائج تلك الاسباب
فدعوى بعض المؤرخين الاوربيين ان تغلب المسيحية على اليونان
والرومان اخنى على عظمتها ، وذهب بمدنيتها ، ليس فيه من الصحيح
الا كون الاوضاع الجديدة تذهب بالاوضاع القديمة ، سنة الله في خلقه ،
وانه في هيعة هذا التحول لا بد من اضطراب الاحوال وانحلال القواعد
واستحكام الفوضى ، والا فلا أحد يقدر أن يقول ان الوثنية أصلح
للعمران من النصرانية (١)

(١) علماء المسلمين يمتدنون ان النصرانية على ما طرأ عليها من
الوثنية بالتثليث الوثني القديم أصلح لأنفس البشر من الوثنية الخالصة
ولكنها ليست اصلح ولا قبل للعمران المدني الذي تتنافس فيه اوربة وغيرها
لأنها ديانة مبنية على المبالغة في الزهد والخضوع لكل حكم دينوي ،
والعمران لا يتم ولا يسود الا بالسيادة والملك والفتى ، ومن قواعد الانجيل
ان الجمل إذا دخل في ثقب الابرة فالفتى لا يدخل ملكوت السموات ،
ونعتقد أيضا ان جميع ما جاء به المسيح عليه السلام من الدين فهو حق وكان =

وهذه الدعوى كانت تكون أشبه بدعوى أعداء الاسلام الذين يزعمون ان الشرق كان راتعا في مجامع العمران، فجاء الاسلام وطمس للمدنات الشرقية القديمة ! لولا أن الحقيقة هي كما قدمنا ان المدنات الشرقية كانت كما قد انقرضت او انحطت قبل ظهور الاسلام بكثير ، وان الاسلام وحده لا غيره هو الذي جدد مدينة الشرق الدارسة ، واستأنف صولته الذاهية الطامسة ، وبعث تلك الحواضر العظمى الزاخرة بالبشر كبغداد والبصرة وسمرقند وبخارى ودمشق والقاهرة والقير وان بقرطبة وهلم جرا ، ولئن كانت قد بقيت للشرق آثار مدنات قديمة فان الاسلام هو الذي وطد بوانيها ، وطرز حواشيتها ، وحمل السيف بيد

= البشر في اشد الحاجة الى ما فيه من المبالغة في الزهد والتواضع لمقاومة ما كان عليه اليهود وحكامهم الروم (الرومان) من الطمع والكبرياء والعتو وان هذا كان تمهيدا للاسلام الدين الوسط المعتدل الجامع بين مصالح الدنيا والاخرة فما ذكرناه من اعتقادنا يتضمن اعترافنا بحقيقة دين المسيح في نفسه وبكونه من عند الله تعالى مع التعارض بينه وبين ديننا الناصخ له ومن وظيفتي ان ابين هذا في حاشية مقال كتب المنار باقتراح من أحد تلاميذ المنار على أمير البيان

والقلم بيد إلى أبعد ما تصوره العقل من حدود الاقطار التي لم يسبق
لشرقي أن يطأها بقدمه

فاذا كان الافرنج الصليبيون من الغرب ، وكان المغول اولئك
الجراد المنتشر من الشرق ، قد تبرؤوا ماعلا الاسلام في تلك الممالك ،
ونسفوا عمران هاتيك الحواضر ، وكانت منافسات ملوك الاسلام
الداخلية واتباعهم للشهوات ، وامعانهم في الضلالات ، ومحيدهم
عن جادة القرآن القويمة ، وفقدهم ما يزرعه في الصدور من الاخلاق
العظيمة ، قد قضت في الداخل ، على ما عجز عن تعفيته العدو من الخارج ،
فليس الذنب في هذا التقلص ذنب الاسلام ، ولا التبعة في هذا الانقلاب
عائدة على القرآن ، وانما الذنب هو ذنب الهمج من الافرنج ، وجناية
ذلك الجراد الزحاف من المغول ، وانما هي تبعة المسلمين الذين رغبوا
عن أوامر كتابهم واشتروا بآياته ثمنا قليلا ، إلا النادر منهم

وأیضا فقد تنصرت الامم الاوربية في القرن الثالث والرابع
والخامس والسادس من ميلاد المسيح ، وبقيت امم في شرقي اوربة إلى
القرن العاشر حتى تنصرت. ولم تنهض اوربة نهضتها الحالية التي مكنتها
تدریجا من هذه السيادة العظمى بقوة العلم والفن إلا من نحو اربعائة سنة ،
اي من بعد أن دانت بالانجيل بالف سنة. ومنها بعد أن دانت به بسبعائة

سنة ومنها بئانمائة سنة الخ وهذه هي القرون المسماة في التاريخ بالقرون الوسطى . ولا نقول ان الاوربيين كانوا في هذه القرون بأجمعهم هائمين في ظلمات بعضها فوق بعض ، بل نقول ان العرب كانوا أعلى كتبنا منهم بكثير في المدنية باقرار مؤرخيهم ، وبرغم انف لويس برتران واضرابه . ومن السكتب المخرجة حديثا الشاهدة بذلك اتاريخ العام للكاتب الفيلسوف الانكليزي « ولز » و « تاريخ مدنيات الشرق » لمؤلف افرنسي متخصص في التواريخ الشرقية اسمه « غروسه » فالحقيقة التاريخية المجمع عليها هي واحدة في هذا الموضوع لم يظهر ما ينقضها ولن يظهر ، وهي : ان العرب في القرون الوسطى كانوا أساتيد الاوربيين ، وكان الواحد من هؤلاء إذا تخرج على العرب تباهى بذلك بين قومه

سبب تأخر أوربة الماضي وتنهضتها الحاضرة

أفنجعل هذا التأخر الذي كان عليه الاوربيون في القرون الوسطى مدة الف سنة ناشئا عن النصرانية التي كانت دينهم الذي يعضون عليه بالنواجذ ؟

نعم ، ان الامم البروتستانية منهم تجعل مصدر هذا التأخر الكنيسة البابوية لا النصرانية من حيث هي . وتزعم ان نهضة أوربة لم تبدأ إلا بخروج (لوثير ، وكلفين) على الكنيسة الرومانية .

واما فولتير ومن في حزبه من أقطاب الملاحة فلا يفرقون كثيراً بين الكاثوليك والبروتستانت ، وعندهم ان جميع هذه العقائد واحدة وانها عاتقة عن العلم والرقى ، ولهذا قل فولتير تلك الكلمة عندما ذكر لديه لوثير ، وكلفين ، قل : « كلاهما لا يصلح ان يكون حذاء لمحمد » يريدان ان محمداً (ص) بلغ من الاصلاح ما لم يبلغا أدناه ، مع اعتقاد الكثيرين ان مذهبهما كان فجر أنوار اوربة ^(١)

والحق الذي لا نرتاب فيه ان النصرانية نفسها لم تكن هي المسؤولة عن جهالة الافرنج المسيحيين مدة الف سنة في القرون الوسطى بل للمسيحية الفضل في تهذيب برايرة اوربة

وهؤلاء اليابانيون هم وثنيون . ومنهم من هم على مذهب بوذا . ومنهم من يقال لهم طاويون ، وكثيرون منهم يتبعون الحكيم الصيني

١ « ونحن نعتقد هذا وكان شيخنا الاستاذ الامام واذكياه مردييه كسعد باشا زغول يعتقدونه ولكن بمعنى سلبى وهران هذا المذهب اضعف حجر الكنيسة على العقول البشرية وتقييدها بتعاليمها وفهمها للدين ورأيا في الدنيا ، وكان سبب هذا المذهب ما سرى الى اوربة عقب الحروب الصليبية بمعاشره المسلمين من استقلال العقل في فهم الدين وعدم سيطرة احد عليهم فيه كما بينه شيخنا في كتاب الاسلام والنصرانية

كنفوشيوس . ولقد مضى عليهم نحو الفي سنة ولم تكن لهم هذه المدينة الباهرة ولا هذه القوة والمكانة بين الامم . ثم نهض اليابان من نحو ستين سنة وترقوا وعزوا وغلظ أمرهم ، وعلا قدرهم ، وصاروا إلى ما صاروا اليه ولم يبرحوا وثنيين

فلا كانت الوثنية إذاً سبب تأخرهم الماضي ، ولا هي سبب تقدمهم الحاضر ، وقد تقاوت اليابان والروسية وتحاربتا فتغلبت اليابان على الروسية . مع ان اليابانيين في العدد هم نصف الروس ، ولكن مما لا شك فيه ان اليابانيين ارقى من الروس ، والحال ان الروسية عريقة في النصرانية واليابان عريقة في الوثنية

فليترك إذاً بعض الناس جعل الاديان هي المعيار للتأخر والتقدم (١) أفنقول من أجل هذا المثال : ان الانجيل هو الذي أخرج الروسية عن درجة اليابان ، وان عبادة الالهة ابنة الشمس هي التي جذبت بضع اليابان حتى سبقت الروسية ؟

(١) هذا صحيح في جملة الاديان الا الاسلام فقراً انه وتاريخه يثبتان انه هو سبب تقدم أهله حين اهدوا به وسبب تأخرهم حين أعرضوا عنه ، كما بين هذا أمير الكتاب في رسالته هذه فأظلم الظلم أن يجعل سبب تأخرهم

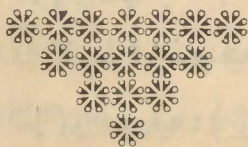
ان لهذه الحوادث أسبابا وعوامل مترابطة ترجع الى أصول شتى.
فاذا تراكت هذه العوامل في خير أو شر تغلبت على تأثير الاديان والعقائد،
وأصبحت فضائل أقوم الاديان عاجزة بازاء شرها، كما أصبحت معائب
أسخفها غير مؤثرة في جانب خيرها

ولسنا هنا في صدد أسباب تقدم اليابان السريع حتى نبين ان
اعتقاد عامتهم « وجود حصان مقدس يركبه الاله فلان » لم يقف حائلا
دون تقدمهم المبني على ما ركب في فطرتهم من الحماسة ، وما أوتوا من
الذكاء ، وما أوردتهم نظام الاقطاع القديم من التنافس في المجد والقوة
وعندنا أمثلة كثيرة لا تكاد تحصى في هذا الباب اجتزأنا منها بما
ذكرناه . ولم نكن لتعرض لهذا المقام لولا حملات القسوس والمبشرين
وكثير من الاوربيين على الاسلام ، وزعمهم انه هو عنوان التأخر ،
وانه رمز الجمود ، وتحذيرهم بذلك في الاندية والمجامع ، ونشرهم هذه
الافتراءات في المجلات والجرائد ، وقولهم ان الشجرة تعرف من ثمارها ،
وان حالة العالم الاسلامي الحاضرة هي نتيجة جمود الاسلام ، وتحجر
القرآن ! (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا)

وحسبك أن المسيو « سان المقيم الافرنسي السامي » في المغرب
ينشر في العدد الاخير من « مجلة الاحياء » الافرنسية مقالة يتكلم

فهيها عن يقظة المغرب بعد « ليل الاسلام » ! هكذا تعبيره
فان كان تأخر إحدى الممالك الاسلامية حقبة من الدهر يجب أن
يقال فيه « ليل الاسلام » فكم كان ليل النصرانية طويلا عند ما بقيت
أوربة المسيحية زهاء ألف سنة وهي في حالة الهمجية او ما يقرب
من الهمجية

لماذا أيها الناس تدخلون الاديان فيما هي براءة منه؟ ولماذا تتحمونها
في موضوع يكذبكم فيه التاريخ بأماثله الجملة
ان ادخال الاديان في هذا المعترك وجعلها هي معيار الترقى والتردي
ليس من النصفة في شيء



حث القراءة على العلم

باعث للمسلمين على سبق الامم في الرقي

العالم الاسلامي يمكنه النهوض والرقي واللاحاق بالامم العزيزة الغالبة اذا اراد ذلك المسلمون ووطنوا أنفسهم عليه . ولا يزيدهم الاسلام إلا بصيرة فيه وعزما . ولن يجدوا لانفسهم حافزاً على العلم والفن خيراً من القرآن الذي فيه (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) والذي فيه : (وزاده بسطة في العلم) والذي فيه : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) والذي فيه : (شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) والذي فيه : (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) والذي فيه : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) والذي فيه : (ويعلمهم الكتاب والحكمة) وفيه : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) وفيه : (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) وغير ذلك من الآيات الكريمة ، وفيه ما هو خاص بالامة العربية : (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. وإن كانوا من قبل لني ضلال مبين»
وقد زعم بعضهم ومن جملتهم (سيكار) هذا الذي بالمغرب الذي الف
في الطعن على الاسلام، والذي يكتب في مجلة «مرا كش الكاثوليكية»
أن المراد بلفظة «العلم» في القرآن هو العلم الديني ولم يكن المقصود به
العلم مطلقاً لئلا تظهر به على قضية تعظيم القرآن للعلم وإجابه للتعلم .
وقد أتى سيكار من المغالطة في هذا الباب ما لا يستحق أن يرد عليه
لما فيه من المكابرة في المحسوس . وكل من تأمل في مواقع هذه الآيات
المتعلقة بالعلم والحكمة وغيرها مما بحث على السير في الارض والنظر والتفكير
يعلم أن المراد هنا بالعلم هو العلم على اطلاقه متناولاً كل شيء ، وأن المراد
بالحكمة هي الحكمة العالمية المعروفة عند الناس ، وهي غير الآيات المنزلة
والكتاب كما يدل عليه العطف وهو يقتضي المعايرة . ويعزز ذلك الحديث
النبوي الشهير : « اطلبوا العلم ولو في الصين » ^١ . فلو كان المراد بالعلم
هو العلم الديني كما زعم سيكار ما كان النبي ^{صلى الله عليه وسلم} يبحث على طلبه ولو في
الصين إذ أهل الصين وثيّنون لا يجعلهم النبي مرجعاً للعلم الديني كما لا يخفى .

(١) تتمته « فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه العقيلي
وابن عدي والبيهقي وابن عبد البر عن أنس وفيه عند الأخير زيادة
أخرى في فضل العلم وله طرق يقوي بعضها بعضاً

وفي بعض الآيات من القرائن اللفظية والمعنوية ما يقتضي أن المراد بالعلم علم الكون لانه في سياق آيات الخلق والتكوين وهي في القرآن أضعاف الآيات في العبادات العملية كالصلاة والصيام كقوله تعالى (٣٩ : ٢٧) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها . ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء بما ذكر في الآية من الماء والنبات والجبال وسائر المواليد المختلفة الالوان وما فيها من أسرار الخلق لا العلماء بالصلاة والصيام والقيام وقد كنا ظننا هذا الرجل على شيء من حب الحقيقة ، فلما أنكر المدنية الاسلامية رددنا عليه في المنار وجادلناه بانتي هي أحسن ، وعظمنا من قدر المدنية المسيحية ، ووقرنا منها ورددنا على القائلين من الاوربيين بأن النصرانية كانت وفقاً لسير المدنية وسبباً لسقوط اليونان والرومان إلى غير ذلك . فكان من سيكار هذا أن نشر سلسلة مقالات تتضمن من الطعن على الاسلام ما لو جئنا نرده لم نستغن عن إيراد شبه واعتراضات تتعلق بالدين المسيحي مما نأبى أن نتعرض له لانه ليس من العدل ولا من الكياسة ولا من حسن الذوق أن نغيظ إخواننا المسيحيين من أجل رجل اسمه سيكار او غيره من هذه الطبقة

من الدعاة والبشرين . هذا زائداً إلى ما رأيناه في كلامه من الخلط
والخبط والمغالطة التي من قبيل قوله : ان العلم المقصود في القرآن ليس
هو العلم المعروف عند الناس بمفهومه المطلق وإنما هو العلم الديني فقط
لأن القرآن لا يهتمه شي من علوم الدنيا ! فكابر كهذا لا يستحق الجواب
ثم علمنا أن المسيو سيكار هذا هو من مستخدمي فرنسة في الرباط
بإدارة الامور الاسلامية وانه هو والمسيو لويس برينو مدير التعليم
الاسلامي هناك - والقومندان ماركو مدير قلم المراقبة على الجرائد
والمطبوعات - والقومندان مارني مستشار العدالة الاسلامية - ورهطاً
آخرين هم الذين لعبوا الدور الاهم في قضية العمل لتنصير البربر . وما
كان استخدام فرنسة لهم في مهات كلها عائدة للاسلام الاعلى نية نقض
كل ما يقدرون عليه من بناء الاسلام بالمغرب . وستذوق فرنسة ولو بعد
حين وبال ما عملته وتعمله من التعرض للدين الاسلامي الذي تعهدت
في معاهداتها باحترامه .



كلمة لطرب النهضة القومية دون الربنية

يقول بعض الناس ^(١) ما لنا وللرجوع الى القرآن في ابتعاث هم المسلمين إلى التعليم فان النهضة لا ينبغي أن تكون دينية بل وطنية قومية كما هي نهضة أهل أوربة ، ونحبهم إن المقصود هو النهضة سواء كانت وطنية أم دينية ^(٢) على شرط أن تتوطن بها النفوس على الخب في حلبة العلم . ولكننا نخشى إن جردناها من دعوة القرآن، أن تفضي بنا إلى الإلحاد والإباحة ، وعبادة الأبدان ، واتباع الشهوات ، مما ضرره يفوت نفعه . فلا بد لنا من تربية علمية سائرة جنباً إلى جنب مع تربية دينية ، وهل يظن الناس عندنا في المشرق أن نهضة من نهضات أوربة جرت بدون تربية دينية ؟

✓ أفلم يقل رئيس نظار ألمانية في الرايستاغ منذ ثلاث سنوات : ان ثقافتنا مبنية على الدين المسيحي . وهذا هو اعلان ألمانية التي هي المثل الأعلى في العلم والصناعة واتقان الآلات والادوات ، لا ينازع في ذلك أحد ، ولا أعداؤها

١ اي من ملاحدة المسلمين الجاهلين أو المتجاهلين لحال أوربة في عصبيتها الدينية ^(٢) ولكن المسؤول عنه هو نهضة المسلمين من حيث هم مسلمون

أفتوجد جامعة في ألمانيا أو انكلترة أو غيرها من هذه الممالك الرأقية بدون أن يكون فيها علم اللاهوت المسيحي؟^(١١)
ثم أنهم عندما يقولون في أوربة « نهضة وطنية » أو « نهضة قومية » أو جامعة وطنية أو قومية ، لا يكون مرادهم بالوطن التراب والماء والشجر والحجر . ولا بالقوم السلالة التي تنحدر كلها من دم واحد . وإنما الوطن والقوم عندهم لفظتان تدلان على وطن وامة بما فيهما من جغرافية وتاريخ وثقافة وحرث وعميدة ودين وخلق وعادة مجموعا ذلك معاً ، وهذا الذي يناضلون عنه ويستبسلون كل هذا الاستبسال من أجله

ملاحظة الجواب

ان المسلمين ينهضون بمثل ما نهض به غيرهم

إن الواجب على المسلمين لينهضوا ويتقدموا ويعرجوا في مضاعف المجد ويترقوا كما ترقى غيرهم من الامم هو الجهاد بالمال والنفس الذي أمر به الله في قرآنه مراراً عديدة ، وهو ما يسمونه اليوم « بالتضحية »
فلن يتم للمسلمين ولا لأمة من الامم نجاح ولا رقي إلا بالتضحية ،
« ١ » وهذا بعد التربية المنزلية الدينية المحضة والتربية المدرسية
الابتدائية وجهاً دينية

وربما كان الشيخ محمد بسيوني عمران أو غيره من السائلين عن رأينا في هذا الموضوع قد ظن أنني سأجيبه ان مفتاح الرقي هو قراءة نظريات «اينشتين» في النسبية مثلا أو درس أشعة « روتجين » أو ميكروبات «باستور» أو التعويل في الاسلـكي على التموجات الصغيرة دون الكبيرة ، أو درس اختراعات « اديسون » وان سبب حادثة المنطاد الانكليزي الذي سقط أخير واحترق هو كونه لم ينفخ بالهليوم وإنما نفخ بالهيدروجين ، والحال ان الهيدروجين - وان كان أخف في الوزن - قابل للاشتعال ، وانه لاخوف من اشتعال الهليوم وان كان أثقل شيئا من الهيدروجين - وما أشبه ذلك

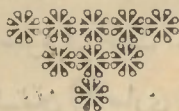
والحقيقة أن هذه الامور إنما هي فروع لأصول ، وانها نتائج لا مقدمات ، وإن « التضحية » أو الجهاد بالمال وبالنفس هو العلم الاعلى . فاذا تعلمت الإمة هذا العلم وعملت به دانت لها سائر العلوم ، ودنت منها جميع القطوف

وليس بضروري أن يكون صاحب الحاجة عالما بعملها حتى يكون عالما بالاحتياج اليها . قال لي مرة حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني : « ان الوالد الشفيق يكون من أجهل الجهلاء ، فاذا مرض ابنه اختار له أحذق الاطباء ، وعلم ان هناك شيئا نافعا هو العلم لا يعلم هو

شيئاً منه ، ولكنه يعلم بسائق حرصه على حياة ابنه انه ضروري «
ولم يكن محمد علي عالماً وربما كان أمياً ، ولكنه بعث مصر من
العدم إلى الوجود في زمن قصير ، وصيرها في زمانه من الدول العظام
بسائق هذا العلم الأعلى الذي هو الإرادة ، والذي هو الذي يبعث
صاحبه إلى التفتيش عن العلوم وحمل الأمة عليها
فالمسلمون يمكنهم إذا أرادوا وجردوا العزائم وعملوا بما حرضهم عليه
كتابهم أن يبلغوا مبالغ الأوربيين والأمريكيين واليابانيين من العلم
والارتقاء، وان يبقوا على أسلامهم كما بقي أولئك على أديانهم ، بل هم أولى
بذلك وأحرى . فان أولئك رجال ونحن رجال ، واتما الذي ينقصنا
الأعمال ، واتما الذي يضرنا هو التشاؤم والاستخذاء وانقطاع الآمال .
فلننفض غبار اليأس ولنقدم إلى الامام ، ولنعلم اننا بالغو كل أمنية بالعمل
والدأب والاقدام ، وتحقيق شروط الايمان التي في القرآن (والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

لوزان ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٠
شكيب أرسلان

تم الجواب



فهرس

لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدم غيرهم ؟

صفحة

مقدمة الرسالة لصاحب النار	
كتاب المقترح لهذه الرسالة	٤
جواب الامير شكيب أرسلان	
تشابه الشعوب الاسلامية في الضعف	٦
أسباب ارتقاء المسلمين الماضي ترجع كلها الى الاسلام	٨
فقد المسلمين السبب الذي ساد به سابقهم	١٠
المقابلة بين خالي المسلمين والافرنج اليوم	١٢
اعتذار المسلمين عن أنفسهم وورده	١٦
تناجح إغاثة مصر لمجاهدي طرابلس وبرقة	٢١
النشيد الطلياني في التحريض على قتال المسلمين ومحو القرآن	٢٤
خيانة بعض المسلمين لدينهم ووطنهم بخدمة الاجانب	٢٧
كلمة الملك ابن سعود في تحاذل المسلمين وتعاديتهم	٣٤
المقابلة بين المسلمين والافرنج في البذل لنشر الدين	٣٨

أهم اسباب تأخر المسلمين	٤٢
الجهل . العلم الناقص . فساد الاخلاق ولا سيما أخلاق الامراء والعلماء . الحين والهلع . اليأس والقنوط . نسيان ماضيهم المجيد شبهات الجهلاء الحيناء وردها ، تأثير اهل الجود واهل الجحود	٤٦
ضياع الاسلام بين الجامدين والجاحدين وعمل كل منهما	٥٤
محافظة الشعوب الافرنجية على قومياتها	٥٥
العبرة للمسلمين برقي اليابانيين	٥٩
لماذا لا تسمى اليابان اوربة رجمية بتدنيهما	٦٣
آيات القرآن في العمل . المبطلات لتفسير القدر بالجبر والسكسل	٦٧
المسلمون الجامدون فتنة لاعداء الاسلام وخجة عليه	٨٣
مدينة الاسلام	٧٧
الرد على حساد المدينة الاسلامية	٨١
اليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها	٨٤
سبب تأخر اوربة الماضي ونهضتها الحاضرة	٨٩
حث القرآن على العلم باحث لاهله على سبق الامم	٩٤
كلمة لطالبا النهضة القومية دون الدينية	٩٨
خلاصة الجواب أن المسلمين ينهضون بمنزل ما نهض به غيرهم	٩٩

في بيان احوال اهل البيت

الحمد لله الذي جعل في خلقه آيات كثيرة

منها ما لا يدرك بالحواس ولا يحيط به العقول

فمنها ما لا يرى بالابصار ولا يسمع بالاسماع

فمنها ما لا يفكر به العقول ولا يحيط به الحواس

فمنها ما لا يدرك بالحواس ولا يحيط به العقول

فمنها ما لا يرى بالابصار ولا يسمع بالاسماع

فمنها ما لا يفكر به العقول ولا يحيط به الحواس

فمنها ما لا يدرك بالحواس ولا يحيط به العقول

فمنها ما لا يرى بالابصار ولا يسمع بالاسماع

وكانت كالتالي

فمنها ما لا يدرك بالحواس ولا يحيط به العقول

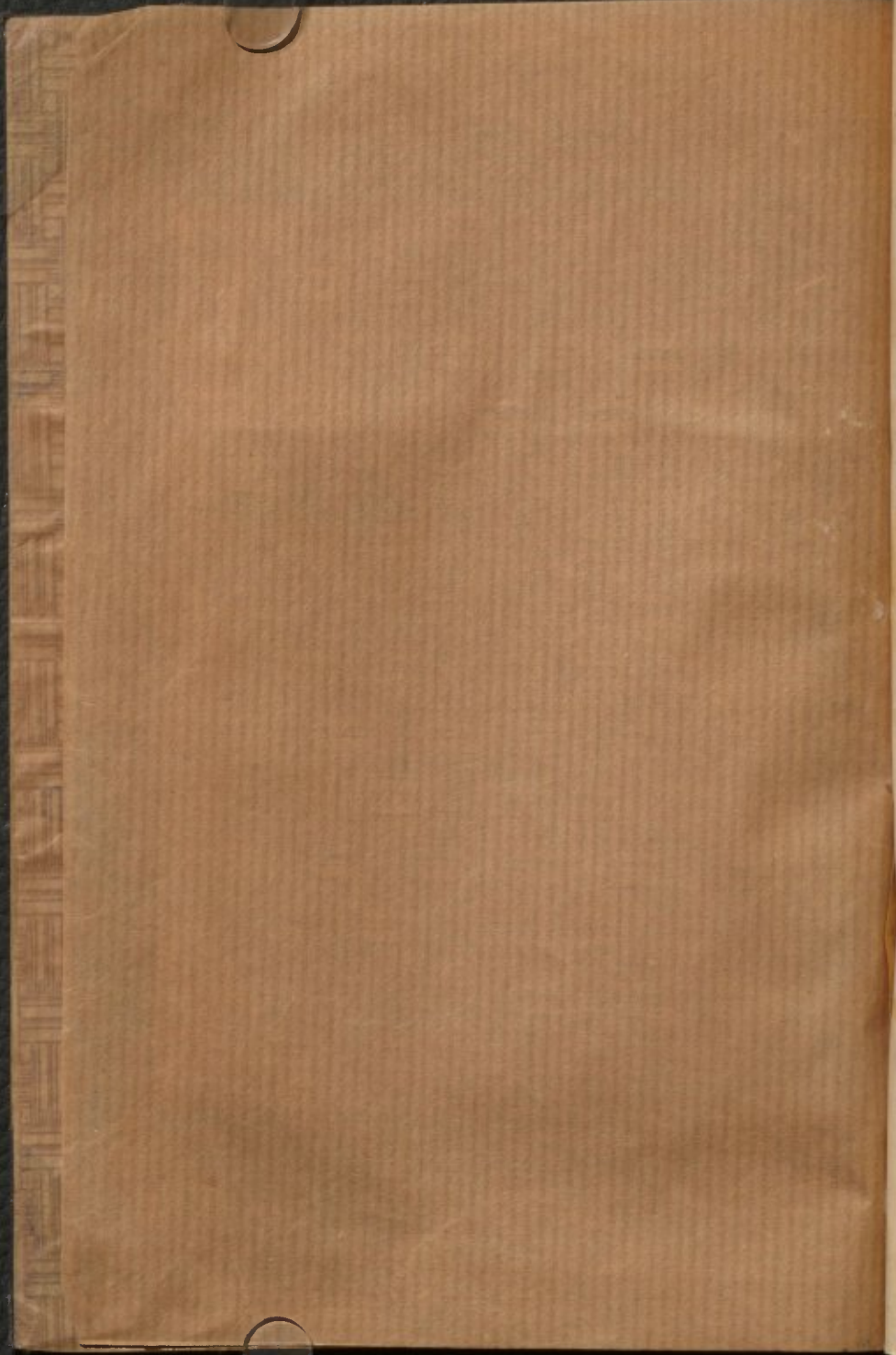
فمنها ما لا يرى بالابصار ولا يسمع بالاسماع

فمنها ما لا يفكر به العقول ولا يحيط به الحواس

فمنها ما لا يدرك بالحواس ولا يحيط به العقول

فمنها ما لا يرى بالابصار ولا يسمع بالاسماع

وكانت كالتالي





5565

~~FBI - 100~~

تفسير القرآن الحكيم

الشهير بتفسير المنار

كان حكيم الاسلام موقظ الشرق السيد جمال الدين الافغاني يقول
ان القرآن لا يزال بكرآ لم يفسره أحد . يعني أهم فسر والفاظه العربية لغة
ونحوها وبلاغة واحكامه الفقهية ، ولكن لم يبينوا ما فيه من الحكمة العقلية
والادبية ، والسياسة الاسلامية ، والقواعد الاجتماعية ، والاصول العمرانية ،
والمعارج الروحية ، وما في ذلك من أسباب السعادة الدنوية والاخروية ،
وقد اقتبس هذه العلوم والمعارف عنه مر يده الاكبر ووارث حكمته الاشهر
الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وشرع يثنها في تفسيره للقرآن في الجامع
الازهر ، فاقتبسها منه مر يده السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي
ودون ما القاه في الازهر منها في خمسة أجزاء من تفسير المنار . مع
التطبيق على أحوال المسلمين السابقين والمعاصرين والتنبه على ما يجب من
المبرة والعمل في ذلك وبيان ما صح من الروايات فيه

فقاري ، هذا التفسير يحد فيه جميع أسباب سيادة المسلمين وسماجتهم
السابقة وجميع أسباب ضعفهم وذهاب أكثر ممالكهم بعد ذلك وكل ما بهمهم
من علاج عظيم وأمر مستقباهم مما اجمل بعضه امير البيان في رسالته
(لماذا تأخر المسلمون ؟ ولماذا تقدم غيرهم)

وقدمت من هذا التفسير ٩ أجزاء وسيم العاشر في شهر رمضان الآتي

سنة ١٣٤٩ هـ وعن كل جزء ٢٥ قرشا ولتجار الكتب وطلبة العلم ٢٠ قرشا